من رواد الأزهر الشريف في الإصلاح والتجديد الشيخ حسن العطار

إعداد

الدكتور / محمد رضا رمضان البنداري

المدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

من رواد الأزهر الشريف في الإصلاح والتجديد الشيخ حسن العطار

محمد رضا رمضان البنداري

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

Mohamed.reda@azhar.edu.eg

الملخص

اخترت الكتابة في هذا الموضوع لبيان أن فكرة التجديد لم تعد بدعا من الأمر يختلف الناس حوله، ولبيان أثر الأزهر الشريف الواضح في التجديد، وإرساء معالم النهضة الحديثة في مصر والوطن العربي. وتبدو أهمية هذا البحث من أن دعوة الشيخ حسن العطار تعد من الدعوات الإصلاحية التجديدية الرائدة التي لم تقف عند حد الدعوة إلى الأصول الأولى للإسلام، وإنما حاولت أن تستوعب قضايا العصر وتصبها في قالب إسلامي يمكنها من مواجهة تحدي الحضارة الغربية، فعمل على فض النزاع المفتعل بين الدين والعلم، وأكد أن الإسلام لم يكن قط عدوا للتفكير الحر فيحبه، ولا حجر عثرة أمام العلم فيقيده. فبدأت حركة الإصلاح والتجديد عند الشيخ العطار على شكل رافض للواقع الموجود لأسلوب النقل والتقليد الذي شاع في الأوساط العلمية في ذلك الوقت.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن كيفية تصدي رائد من رواد الأزهر الشريف –الشيخ حسن العطار – لسان حال حركة الإصلاح والتجديد في ذلك الوقت للمضامين التربوية والثقافية السائدة في تلك الفترة وكيفية تجديدها حتى تؤدي دورها في إصلاح الأمة والحفاظ على هويتها الإسلامية. وقد توصلت الدراسة إلى أن للأزهر دوراً محوريا في نشر العلوم الشرعية والعربية والإنسانية، وأن الفتاوى التي أصدرها الشيخ

العطار كانت مشعل نور أضاء لأبناء مصر طريق النبوغ والتفوق في مختلف المجالات العلمية، وأن الاجتهاد في العلوم الدينية «ضرورة»، من أجل إيجاد فقه معاصر يتواكب مع احتياجات الناس ومتطلباتهم في العصر الذي يعيشون فيه، كما بينت الدراسة أن العطار استطاع أن يترك أثره البالغ في تلاميذه الذين واصلوا منهجه في الدعوة إلى الإصلاح والتجديد.

الكلمات المفتاحية: الأزهر – الإصلاح – التجديد– العطار – النهضة

One of Al-Azhar's pioneers in reform and renewal (Sheikh Hassan al-Attar)

Mohamed Reda Ramadan El-Bendary.
Department of Da'wa and Islamic Culture
Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wa, Mansoura.
Mohamed.reda@azhar.edu.eg

Abstract

I chose to write on this subject to indicate that the idea of renewal is no longer a heresy to disagree about it, to demonstrate the clear impact of Al-Azhar in renewal, and to establish the features of the modern renaissance in Egypt and the Arab world. The importance of this research seems to indicate that the call of Sheikh Hassan Al-Attar is one of the pioneering reformist invitations that did not stop at the call to the first foundations of Islam, but rather tried to digest the issues of the times and look them into an Islamic form that enables them to face the challenge of Western civilization. Sheikh Hassan al-Attar worked on resolving the fabricated conflict between religion and science, and emphasized that Islam has never been an enemy of free thinking, nor a stumbling block to science. Sheikh Al-Attar's movement for reform and renewal began in the form of rejecting the existing reality of the method of transmission and tradition that was popular in the scientific community at that time.

This research aims to reveal how a pioneer of Al-Azhar pioneers, Sheikh Hassan Al-Attar, the voce of the reform and renewal movement at that time, addressed the educational and cultural contents prevailing in that period and how to renew these contents so that they can play their role in reforming the nation and preserving its Islamic identity. The study concluded that Al-Azhar has a central role in the dissemination of islamic, Arab and human

sciences, and that the legal opinions "fatwas" issued by Sheikh Attar were a beacon of light for the people of Egypt that demonstrated the way of genius and excellence in various scientific fields. The study also concluded that juristic deduction in the religious sciences is a “necessity”, in order to find a contemporary jurisprudence that goes with the needs and requirements of people in the era in which they live. The study also showed that Al-Attar was able to make a big impact on his students, who continued his approach to the call for reform and renewal.

Keywords: Al-Azhar – Reform – Renewal – Al-Attar – Renaissance

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي بعث رسله بالإصلاح والتجديد فقال على لسان خطيبهم شعيب -عليه السلام-: إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ (هود: ٨٨) والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد. . .

فلقد تخرج في الأزهر الشريف على مدى تاريخه الطويل كوكبة من خيرة العلماء وأهمهم، الذين حملوا لواء المعرفة والدين، كما تولى مشيخته نخبة متميزة من العلماء، كان لهم رؤيتهم في الإصلاح والتجديد، ومن هؤلاء الشيخ حسن العطار(١٧٦٦م / ١١٨٠ هـ) - (١٨٣٥م / ١٢٥٠ هـ) شيخ الأزهر الشريف، وصاحب المؤلفات والشروح الكثيرة، التي أحدثت حراكا ثقافيا وفقهيا كبيرا في عصره، حامل شعلة التنوير بفكره وقلمه وإمامته، فكان بحق غارس نهضة مصر والأزهر.

وتعد دعوته من الدعوات الإصلاحية التجديدية الرائدة التي لم تقف عند حد الدعوة إلى الأصول الأولى للإسلام، وإنما حاولت أن تستوعب قضايا العصر وتصبها في قالب إسلامي يمكنها من مواجهة تحدي الحضارة الغربية، فعمل على فض النزاع المفتعل بين الدين والعلم، وأكد أن الإسلام لم يكن قط عدوا للتفكير الحر فيحبه، ولا حجر عثرة أمام العلم فيقيده.

وكان المحور الأساس في دعوة العطار الإصلاحية التجديدية يتمثل في مناداته بضرورة تطوير مناهج ومواد الدراسة في الأزهر من خلال الرجوع إلى المصادر الأصلية للتراث العربي الأصيل، والاستفادة بعلوم الآخرين التي أخذوا أصولها عنا ثم طوروها بجدهم واجتهادهم.

وتظهر أهمية هذا الموضوع اليوم، خاصة وأن المواقف من قضية الإصلاح والتجديد على الساحة المعاصرة متناقضة ومتباينة بين الإفراط والتفريط: فالبعض يرى مطلق التجديد للدين الإسلامي، والبعض الآخر: يقف منه موقف الجمود والتحجر.

ولذا يهدف هذا البحث إلى الكشف عن كيفية تصدي رائد من رواد الأزهر الشريف –الشيخ –حسن العطار– لسان حال حركة الإصلاح والتجديد في ذلك الوقت للمضامين التربوية والثقافية السائدة في تلك الفترة وكيفية تجديدها حتى تؤدي دورها في إصلاح الأمة والحفاظ على هويتها الإسلامية.

أسباب اختيار الموضوع:

لاشك أن الباحث لا يقدم على عمل علمي إلا وهو مدفوع بمجموعة من الدوافع العلمية التي تحمله على خوض لجج البحث، وتساعده على تكوين تصور على الموضوع الذي وقع عليه اختياره، وأستطيع أن أجمل الأسباب التي دعتني إلى اختيار موضوع البحث في العناصر الآتية:

١– عدم وجود دراسة مركزة مخصصة في هذا الموضوع.

٢– بيان أن فكرة الإصلاح والتجديد لم تعد بدعا من الأمر يختلف الناس حوله.

٣– بيان أثر الأزهر الشريف الواضح في الإصلاح والتجديد، وإرساء معالم النهضة الحديثة في مصر والوطن العربي.

٤– الرد على من اتهم الإسلام بأنه دين الجمود والرجعية، فأردت بهذا البحث أن أثبت أن دين الإسلام برئ من هذا الاتهام.

٥- بيان أن تجديد الخطاب الديني كان وسيظل دائمًا في مقدمة اهتمامات الأزهر الشريف نظرًا لما له من أهمية كبرى في تحصين المجتمعات من خطر التطرف والإرهاب.

منهج البحث:

منهج البحث الذي استخدمته في تناول قضايا ومشكلات البحث، اقتضت طبيعة البحث استخدام ثلاثة مناهج وهي: ١-المنهج الوصفي[١] وقد اعتمدت عليه في وصف الظاهرة محل الدراسة وصفاً دقيقاً وجمع المعلومات والبيانات وتنظيمها. ٢-المنهج التاريخي[٢]، وقد اعتمدت عليه في سرد الأحداث التاريخية. ٣-المنهج الاستنباطي[٣] وقد اعتمدت عليه في استنباط أفكار الشيخ العطار الإصلاحية التجديدية من خلال كتاباته بعد عرضها وتصنيفها وتحليلها.

(١) المنهج الوصفي: وهو الذي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع والقيام بوصفها وصفاً دقيقاً وجمع المعلومات والبيانات وتصنيفها وتنظيمها مما يساعد على الوصول إلى الاستنتاجات للوصول إلى حل المشكلة (البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة، دكتور عبد الله علي سمك، ص١٠٤، ط١، ١٩٩٤م)

(٢) المنهج التاريخي: هو المنهج الذي يعتمد على عملية استرداد ما كان في الماضي ليتحقق من مجرى الأحداث والتحليل القوي للمشكلات التي صاغت الحاضر (مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ص٦٨، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٦٣ م)

(٣) المنهج الاستنباطي: هو الذي ينتقل من المبادئ الكلية إلى الجزئية ومن القوانين العامة إلى الأحكام الفرعية ويطلق عليه المنهج الاستدلالي (البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة، ص١٠٢، مرجع سابق)

خطة البحث

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة: وتحتوي على: أهمية الموضوع، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: ويحتوي على: التعريف بأهم مفردات عنوان البحث.

الفصل الأول: الشيخ حسن العطار حياته وعصره.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: حياة الشيخ حسن العطار.

المبحث الثاني: عصر الشيخ حسن العطار وأثره على دعوته الإصلاحية التجديدية.

الفصل الثاني: الإصلاح والتجديد عند الشيخ حسن العطار.

ويشتمل على:

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح والتجديد عند الشيخ العطار.

المبحث الثاني: بواعث الإصلاح والتجديد عند الشيخ العطار

المبحث الثالث: أسس الإصلاح والتجديد عند الشيخ العطار.

المبحث الرابع: ثمرات الإصلاح والتجديد في دعوة العطار.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث، فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد: تعريف الإصلاح والتجديد

أولا: تعريف الإصلاح

الإصلاح في اللغة: صَلَحَ: الصَّلاح: ضِد الْفَسَادِ؛ صَلَح يَصْلَحُ ويَصْلُح صَلاحاً وصُلُوح، وَرَجُلٌ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَوْمٍ صُلَحاء ومُصْلِح فِي أَعماله وأُموره، وَقَدْ أَصْلَحه اللَّهُ، وَرُبَّمَا كَنَوْا بِالصَّالِحِ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ إِلى الْكَثْرَةِ[1].وأصلح الشَّيءَ: أزال فساده، رتَّبه ونظَّمه، ضدّ أفسده، أدخل عليه تغييرات ليتماشى مع روح العصر[2].

ومن هنا فالصلاح والإصلاح: ضد الفساد ونقيضه، وهي مصطلحات شرعية أوردها الله تعالى في كتابه الكريم: فلما استخلف نبيُّ الله موسى أخاه هارونَ عليه السلام في قومه أوصاه بقوله: ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وكذلك أخبر الله عن حال قومه بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[الأعراف: ١٧٠]، وقال تعالى عن نبيه شعيب -عليه السلام-: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

ولقد أولى القرآن الكريم الصلاح والإصلاح اهتماماً كبيراً يليق بمقام القائمين على حفظ المجتمع بإصلاحهم له، فأثنى الله على المسلمين بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء، آية: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء، الآية: ٧٢].

---

(١) لسان العرب، ٥١٦/٢، مرجع سابق

(٢) يراجع معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، ١٣١٢/٢، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

وأما الإصلاح في المفهوم الإسلامي فيعني: إما إعادة الإسلام إلى روحه النقية ومنابعه الفطرية الأولى أو تنقية سلوك المسلمين مما علق به من بدع متراكمة. وهنا فإن الإصلاح يقع على سلوك المسلمين وليس على دينهم الذي هو الهدف للإصلاح بالمفهوم الغربي لمصطلح "الإصلاح"(١). ويوضح الطيباوي(٢) نقض مفهوم الإصلاح بالمعنى الغربي لتعاليم الإسلام الصحيحة قائلا: " فلو استثنينا كون الإسلام حضارة وثقافة فإنه يقوم على أمرين أساسيين:

- عقيدة سنتها إرادة إلهية، وهي لذلك ليست هدفا للتغيير والتبديل خلال واسطة بشرية إطلاقا.
- وشريعة مستمدة من القرآن والسنة النبوية.
- ومن ثم فليس هناك سلطة إسلامية مؤهلة فكرت أبدا في تغيير العقيدة، بيد أن التطور كان واسعا خلال العصور المتتابعة، وليس في الماضي القريب فحسب، في استقراء الأحكام الفقهية واستنباط الحلول"(٣).

(١) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، عبد اللطيف الطيباوي، ص٩٢، ترجمة وتقديم د/قاسم السمراني، طبع إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١١هجرية/١٩٩١م

(٢) عبد اللطيف الطيباوي: (١٣٢٨ – ١٤٠١ هـ) (١٩١٠ – ١٩٨١ م) باحث، تربوي. ولد بقرية طيبة بني صعب، من قرى فلسطين، قضاء طولكرم. حصل على منحة دراسية في الجامعة الأمريكية ببيروت، وتخرَّج منها عام ١٩٢٩ م، وكان خلال دراسته ينشر بحوثاً ومقالات في مجلات المقتطف" و"الكلية" و"الكشاف" وغيرها. فكتب في كبريات المجلات العلمية في أوروبا وأمريكا والبلاد العربية، وحاضر في جامعات عديدة، ولما توقف عن عمله الرسمي الجامعي قدم زملاؤه سفراً تكريمياً حُرِّر باللغة الإنجليزية بعنوان "إكليل غار عربي إسلامي"(تَكملَة مُعجم المُؤلفين، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨ – ١٩٩٧ م)

(٣) المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، ص٩١، مرجع سابق

ومن هنا فالإصلاح المقبول في الإسلام هو ذلك الذي يكون في الإنسان عقيدة، وأخلاقا، وعبادات، ومعاملات، لتتسق مع تعاليم الإسلام في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. ويمكن أن يكون الإصلاح كذلك في النظم والأساليب والسياسات التي يصنعها المسلم لإدارة المؤسسات المتنوعة، ولذلك لتتوافق مع معايير القرآن والسنة [١].

ثانيا: تعريف التجديد

التجديد لغة: قال الجَوهَريُّ: "جَدَّ الشيءُ يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً، صَارَ جَدِيداً، وهو نَقِيضُ الخَلَقِ"[٢]. وقال أيضا: "وتَجدَّدَ الشيءُ صَارَ جَدِيداً، وأَجَدَّهُ واسْتَجدَّهُ، وجَدَّدَهُ: أي صَيَّرَه جَدِيداً" [٣]. وقال ابن فارس: " سُمِّي كلُّ شئ لم تأت عليه الأيَّامُ جَدِيداً، ولذلك يُسمَّى اللَّيلُ والنَّهارُ الجديدَينِ والأجَدَّينِ، لأنَّ كُل واحدٍ منهما إذا جاءَ، فهو جديدٌ" [٤].

والتجديد من قولهم: " جد في الأمر اجتهد والشيء جده حدث بعد أن لم يكن وصار جديدا. . . وأجد فلان صار ذا جد واجتهاد. . . وفي الأمر اجتهد. . . ويقال جدد العهد وثوبا لبسه جديدا (تجدد) الشيء صار

(١) نظرة المستشرقين للإصلاح والتجديد في الإسلام: دراسة نقدية، محجوب أحمد طه، ص٢٧٦، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية، س١١، عدد ١٦، ٢٠٠٨ م

(٢) انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ٤٥٤/٢، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧

(٣) نفس المصدر السابق، ٤٥٤/٢، وانظر أيضاً لسان العرب، ابن منظور، ١١١/٣، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هجرية، ومعجم متن اللغة، أحمد رضا، ٤٨٥/١، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ٤٠٩/١، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

جديد[١]. ومما سبق يتبين أنَّ التجديد في اللغة يدور حول البعث والاعادة، وإحياء ما اندرس.

التجديد اصطلاحا:

تعددت التعاريف الاصطلاحية للتجديد، ومن أبرز تعريفاته ما يلي:

قال العَلْقَمِيُّ في شرحه[٢]: "معنى التجديد: إحياء ما انْدَرَس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما" [٣].

وقال المُنَاوِيُّ: " يُجدِّدُ لها دِينَها: أي يُبَيِّنُ السُنَّةَ من البدعة ويكثر العِلم وينصر أهله، ويَكْسر أهل البدعة ويُذلُّهم"[٤].

وهو السَّعي للتَّقريب بين واقع المجتمع المسلم في كُلّ عصر، وبين المجتمع النَّموذجيّ الأوّل الذي أنشأه الرَّسول – ﷺ –، وكما يكون ذلك بإحياء مفاهيم ذلك المجتمع وتصوراته للدِّين، وإحياء مناهجه في تدوين العلوم، وتكوين نظم الحياة، واقتباس النَّافع الصَّالح من كُلّ حضارة، يكون أيضاً بتصحيح الانحرافات النَّظريّة، والفكريّة، والعمليّة، والسُّلوكيّة، وتنقية المجتمع من شوائبها"[٥].

ويعرفه الدكتور محمد عمارة فيقول:" التجديد يعني إزالة ما طرأ على الأصول والكليات والقسمات الأساسية مما يتعارض مع روحها

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص١٠٩، دار الدعوة، القاهرة

(٢) العلقمي: محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العَلْقمي، فقيه شافعي، من تلاميذ السُيوطي، ولد سنة (٨٩٧) ، وتوفي سنة (٩٦٩) ، وكتابه هذا هو" الكوكب المنير" وهو: شرح للجامع الصغير للسيوطي، (الأعلام، للزركلي ١٩٦/٦، دار العلم للملايين، ط١٥ – أيار / مايو ٢٠٠٢ م)

(٣) انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ٣٨٦/١١، المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م

(٤) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ٢٨١/٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦، وعون المعبود (٣٨٦/١١) .

(٥) مفهوم تجديد الدّين، سعيد بسطامي محمد، دار الدّعوة، الكويت، ١٤٠٥هجرية، ١٩٨٥م.

ومقاصدها، الأمر الذي يكشف عن نقاء هذه الأصول ويعيدها بالعقلانية والاجتهاد كي تفعل فعلها في مستحدثات الأمور، وما وجد وما يستجد في واقع الحياة"[١].

فعُلِم مما سبق أنَّ التجديد هو: احياءٌ واظهارٌ لما اندرس من علم الكتاب والسنة، وقمع البدع والمحدثات، واعادة الدين صافياً نقياً من كل ما يشوبه ويكدر صفاءه، وتقديمه للأمة صافياً نقياً كما كان في العهد الأول.

ويتضح أن مسألة الإصلاح والتجديد لا تعني الخروج على المبادئ أو إلغاء الأحكام الشرعية، وإنما تعني إعادة تأصيل ما يحتاج إلى تأصيل، وقراءة النصوص بما يتفق مع المقاصد الشرعية، والاجتهاد من داخل الدليل الشرعي، كما أن مسألة الإصلاح والتجديد لا تنحصر في مجال، بل تشمل عدة مجالات. ومن أهمها: إصلاح الدين وتجديده، ويشمل العودة إلى الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام كما بينه الرسول ﷺ، وتجديد النظر والاستدلال في الأمور التي تعرض على الأمة، والتخلص من رواسب العادات والتقاليد الجاهلية، وتجديد سلوكيات المجتمع، وإصلاح وتجديد ما أفسدته الاتجاهات والبدع والطرق المخالفة لتعاليم الإسلام. كما يتبين لنا أن التجديد مرتبط بالإصلاح؛ حيث إن الإصلاح من نتائج التجديد، وبالتالي نرى أن من نتائج التجديد: الإصلاح السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والأخلاقي. وبالتالي تنهض الأمة وترتقي بعلمها وسياستها واقتصادها.

(١) الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، ص١٠، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٨هجرية، ١٩٨٨م

الفصل الأول: الشيخ حسن العطار حياته وعصره

المبحث الأول: حياة الشيخ حسن العطار.

اسمه:

حسن بن محمد بن محمود العطار[١]. وكان أبوه عطارا ومن هنا جاءه هذا اللقب، واسم والده الشيخ محمد كتن[٢].

كنيته:

(أبو السعادات)[٣].

مولده:

ولد الشيخ حسن العطار بالقاهرة في أول الثلث الأخير من القرن الثامن عشر سنة ١٧٦٦م/١١٨٠هجرية، وكان أهله من المغرب فانتقلوا إلى مصر[٤].

نشأته:

نشأ الشيخ حسن العطار بالقاهرة في ظل أبيه الشيخ "محمد كتن"، ويمت بنسبه إلى أسرة مغربية، وفدت إلى مصر وكان أبوه رقيق الحال

(١) الأعلام، ٢٢٠/٢، مرجع سابق

(٢) حسن العطار، محمد عبد الغني حسن، ص٢٠، دار المعارف، القاهرة، ط٢٢، ويراجع أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، أحمد تيمور باشا، ص١٩، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٣هجرية/٢٠٠٣م

(٣) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٢٨٥/٣، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (وممن عرف بهذه التسمية أيضا صاحب الأمالي ابن الشجري ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد بن حمزة العالم النحوي اللغوي(أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ) ، ١٥/١، المحقق: الدكتور محمود محمد الطناحي،: مكتبة الخانجي، القاهرة)

(٤) حسن العطار، محمد عبد الغني، ص٥، ص٢٠، مرجع سابق، ويراجع في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ٤٦/١، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م

"عطارا"، ملما بالعلم كما يدل عليه ما يقوله في بعض كتبه "ذاكرت بهذا الوالد رحمه الله"، وكان يستصحبه إلى متجره، ويستعين به في صغار شئونه. وكان يميل إلى التعلم وتأخذه الغيرة عند رؤيته أترابه يترددون على الأزهر لحفظ القرآن الكريم، فكان يتردد خفية إلى الأزهر لحفظ القرآن الكريم حتى حفظه في مدة يسيرة، ولما رأى منه الوالد حباً للعلم، وإقبالاً على التعلم شجعه على ذلك، فأخذ الشيخ حسن يتردد على حلقات العلم بالأزهر الشريف ودرس علوم الأزهر المقررة حينئذ مثل: التفسير، والحديث، والتوحيد، والتصوف، والفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، والنحو، والصرف، والعروض، والمعاني والبيان، والبديع والأدب، والتاريخ، والسيرة النبوية، وأيضًا درس علوم المنطق، والميقات، على أيدي كبار علماء عصره[1]. وقد أقام زمنا في دمشق، وسكن اشكودرة (بألبانيا) واتسع علمه، وعاد إلى مصر، فتولى إنشاء جريدة (الوقائع المصرية) في بدء صدورها، ثم مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦ هـ إلى أن توفي سنة ١٨٣٥م ١٢٥٠ هـ"[2].

(١) يراجع أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص٧، مرجع سابق، وحسن العطار، محمد عبد الغني، ص٢٠، مرجع سابق، الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، محمد كامل الفقي، ١٣٢/٣، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف

(٢) يراجع في الأدب الحديث، ٤٦/١، مرجع سابق، وتاريخ الإصلاح في الأزهر وصفحات من الجهاد في الإصلاح، عبد المتعال الصعيدي، ص١٩، مطبعة الاعتماد، مصر، ط١

شيوخه:

أخذ الشيخ حسن العطار العلم عن جم غفير من العلماء، ومن هؤلاء الشيخ محمد الصبان[١]، والشيخ أحمد بن يونس[٢]، والشيخ عبد الرحمن المغربي[٣]، والشيخ أحمد العروسي[٤]، والشيخ عبد الله الشرقاوي[٥]. وغيرهم[٦].

تلاميذه

لقد جعل الله –ﷻ– من الشيخ العطار شيخا مباركا وأستاذا جليلا تخرج بعلمه وأدبه جماعة من كبار الرجال في عصره. ويكفيه فخرا أن يكون الشيخ

---

(١) محمد الصبان: ١٢٠٦ هـ) (. . . – ١٧٩١ م) محمد بن علي الصبان المصري، الشافعي، الحنفي (أبو العرفان) عالم، أديب، مشارك في اللغة والنحو والبلاغة والعروض والمنطق والسيرة والحديث ومصطلحه والهيئة وغير ذلك. ولد وتوفي بالقاهرة. (معجم المؤلفين: ١٧/١١، مرجع سابق)

(٢) أحمد بن يونس الخليفي الشافعي الإمام العلامة واللوذعي الفهامة رئيس المحققين وعمدة المدققين النحوي المنطقي الجدلي الأصولي الأزهري من قرابة الشهاب الخليفي ولد سنة ١١٣١ وقرأ القرآن وحفظ المتون وسمع الحديث على الشهابين الملوي والجوهري ودرس وأفاد بالجامع الأزهر وتقلد وظيفة الإفتاء، وله مؤلفات منها حاشية على شرح شيخ الإسلام على متن السمرقندية في آداب البحث وأخرى على شرح الملوي في الأستعارات(تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ ١٦٨/٢– ١٦٩، دار الجيل، بيروت)

(٣) عبد الرحمن المغربي: الإمام العلامة الشيخ عبد الرحمن جاد الله البناني المغربي وبنانه قرية من قرى منستير بافريقية ورد إلى مصر وجاور بالجامع الأزهر وحضر دروس الشيخ الصعيدي والشيخ يوسف الحفني والسيد محمد البليدى وغيرهم من أشياخ العصر ودرس برواق المغاربة وأخذ الحديث عن الشيخ أحمد الاسكندري وغيره وتولى مشيخة رواقهم، ولم يتزوج حتى مات. ومن آثاره ما كتبه على المقامة التصحيفية للشيخ عبد الله الادكاوى(تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ٥٨٥/١)

(٤) أحمد العروسي (١١٣٣ – ١٢٠٨ هـ) (١٧٢١ – ١٧٩٣ م) أحمد بن موسى بن داود العروسي، الشافعي، الازهري (شهاب الدين، ابو الصلاح) شيخ الجامع الازهر. ولد بمنية عروس من ملحقات المنوفية بمصر. من تآليفه: شرح على نظم التنوير في اسقاط التدبير للملوي، وحاشية على الملوي على السمرقندية. (معجم المؤلفين، ١٨٨/٢)

(٥) عبد الله الشّرقاوي(١١٥٠ – ١٢٢٧ هـ) (١٧٣٧ – ١٨١٢ م) عبد الله بن حجازي بن ابراهيم الشرقاوي الشافعي، الخلوتي، الازهري، فقيه، أصولي نحوي، صوفي، محدث، مؤرخ، مشارك في بعض العلوم. ولد في الطويلة من قرى مديرية الشرقية بمصر في حدود سنة ١١٥٠ هـ وتعلم بالأزهر، وولي مشيخته، وتوفي بالقاهرة في ٢٠ شوال. من تصانيفه: الجواهر السنية على العقائد المشرقية، (معجم المؤلفين، ٤١/٦)

(٦) حسن العطار، محمد عبد الغني، ص٢٣، مرجع سابق، وفي الأدب الحديث، ٤٦/١، مرجع سابق

رفاعة الطهطاوي[١] رائد الفكر وإمام النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر الميلادي أحد تلاميذه النجباء.

ويتحدث المؤرخ صالح مجدي في كتابه حلية الزمن عن هذه التلمذة فيقول: " وأما تلمذته للشيخ حسن العطار المتوفي في اثنين وعشرين من شهر ذي القعدة سنة خمسين ومائتين وألف، وقد آلت مشيخة الأزهر إليه قبل العلامة الشيخ حسن القويسي، فكانت مستمرة من مبدأ دخول صاحب الترجمة إلى خروجه من الأزهر بمعية من أرسلوا من مصر إلى باريس لاكتساب العلوم الأجنبية، حيث انتخبه لذلك العلامة المشار إليه، وأوصاه بعمل رحلته الباريسية، وكان للمرحوم فضيلة الامتياز عند الأستاذ العطار عن سائر طلبته، وكثيرا ما كان يلازم بيت العطار في غير الدروس ليتلقى عنه علوما أخرى كالتاريخ والجغرافيا والأدب"[٢]. ومن تلاميذ الشيخ أيضا الشيخ محمد عياد الطنطاوي[٣]، والشاعر المصري محمد شهاب الدين [٤][٥].

---

(١) رِفَاعَة الطَّهْطَاوِي (١٢١٦ – ١٢٩٠ هـ = ١٨٠١ – ١٨٧٣ م) رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، عالم مصري، من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث. ولد في طهطا، وقصد القاهرة سنة ١٢٢٣ هـ فتعلم في الأزهر. وأرسلته الحكومة المصرية إماما للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان أوفدتهم إلى أوربا لتلقي العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية وثقف الجغرافيا والتاريخ. ولما عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، وأنشأ جريدة (الوقائع المصرية) وألف وترجم عن الفرنسية كتبا كثيرة، منها (قلائد المفاخر في غرائب عادات الأوائل والأواخر – ط) مترجم(الأعلام، ٢٩/٣، مرجع سابق)

(٢) حلية الزمن بمناقب خادم الوطن سيرة رفاعة رافع الطهطاوي، السيد صالح مجدي، ص٥، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٨م

(٣) محمَّد عَيَّاد الطنطاوي(١٢٢٥ – ١٢٧٨ هـ = ١٨١٠ – ١٨٦١ م) محمد عياد بن سعد بن سليمان بن عياد المرحوميّ الطنطاوي: أديب، مدرس، مصري. نسبته إلى محلة مرحوم (في غربية مصر) كان أبوه منها. ومولده في قرية نجريد (من أعمال طنطا) تعلم وعلّم بالأزهر، واتصل به بعض المستشرقين، فدعي لتدريس اللغة العربية في معهد (اللغات الشرقية) ببطرسبورج (لينغراد) فسافر سنة ١٢٥٦ هـ واستمر إلى أن توفي بها، وقد تخرج عليه بعض المستشرقين من الروس وغيرهم (الأعلام، ٣٢٠/٦)

(٤) محمد شهاب الدّين(١٢١٠ – ١٢٧٤ هـ) (١٧٩٥ – ١٨٥٨ م) محمد بن اسماعيل بن عمر، لشافعي، لشافعي، المصري، الشهير بشهاب الدين اديب، شاعر، رياضي، موسيقي. ولد بمكة، وحضر الى القاهرة صغيرا، ونشأ بها، وأخذ عن حسن العطار، وحرر الوقائع المصرية، وتولى رئاسة تصحيح الكتب بالمطبعة الأميرية واولع بالاغاني وألحانها، واتصل بعباس الاول الخديوي، فلازمه في اقامته وسفره، ثم انقطع للتدريس والتأليف، وتوفي بالقاهرة(معجم المؤلفين، ٥٩/٩)

(٥) حسن العطار، محمد عبد الغني، ص٢٧، ٢٨، مرجع سابق

المبحث الثاني: عصر الشيخ حسن العطار

ركز الشيخ حسن العطار في دعوته الإصلاحية التجديدية على مشكلات مجتمعه الثقافية والتعليمية والأدبية والسياسية، ولهذا سأتحدث عن الأوضاع الثقافية والسياسية في عصر الشيخ حتى يتسنى لنا معرفة أثر تلك الأوضاع على دعوة الشيخ الإصلاحية التجديدية.

أولا: الحياة الثقافية في عصر الشيخ العطار

أصبحَت القسطنطينيَّة– بعد انتقال الخلافة الإسلامية إليها– مركزَ الثِّقَل ومِحورَ الارتكاز في العالم الإسلامي، ولعل هذا يفسر لنا – بعضَ التفسير– ركودَ الحركة العلمية في مصر والشام طيلةَ القرون الثلاثة التي خضَعَتا فيها للحكم العثماني؛ فقد أصبحت القسطنطينية هي مركزَ النشاط العلمي في الدولة العثمانية؛ فهي مقر السلطان والخليفة، بل هي عاصمة الدولة الإسلامية، والدولة كانت تركيةَ اللسان، فمن البديهي إذن أن تنشط حركة التأليف بين علماء الأتراك وباللغة التركية، وأن تَضعُف حركة التأليف باللغة العربية. يُضاف إلى هذا أن السلطان سَليم الأول كان قد صحب معه حين خروجِه من مصر عددًا من كبار العلماء، وكلَّ ماهر في فنٍّ أو صنعة، كما حمَل معه معظم ما كانت تَذخَر به مكتبات القاهرة من نوادر الكتب والمؤلفات.

وتدهورَت الأحوال في مصر تدهورًا شديدًا في النواحي الثقافية والصحية والاقتصادية؛ نتيجةً للعُزلة التي عاشت فيها، ولانقطاع الصِّلة بينها وبين العالم الخارجي في العصر العثماني[١].

(١) محاضرات عن الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث، جمال الدين الشيال، ص٧٧، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، دون تاريخ

وهكذا انهار صرح الحركة الفكرية الإسلامية، وتضاءل شأن العلوم والفنون، وانحط معيار الثقافة، بعد أن كانت مصر موئل الثقافة ومحط العلماء[١]. " كما ساعدت عجمية الدولة المتبوعة، وجهل الحاكم، وصراع البيكوات المماليك وانشغالهم بأمور أنفسهم عن إصلاح أمور الشعب، وتعطيل المدارس، وتبديد خزائن الكتب – ساعد كل ذلك على تأخر الحالة العلمية والأدبية في البلاد، حتى صارت إلى حد كان لابد بعده من بزوغ نهضة جديدة تعوض ما فات، وتجدد ماندرس" [٢].

وأما الأزهر الشريف فقد استمرت له أهميته البالغة في الدراسات الدينية، ولكن روحه أصابها الوهن، وقوته نال منها الضعف واعترتها عوامل الخمود والجمود، ولذلك أسبابه البعيدة والقريبة. . . فقد ضعفت ملكات التفكير في الشرق كافة وصارت الدولة الحاكمة بعيدة عن الروح العربية الصحيحة. . . وكثرت الفتن السياسية والأحداث الاجتماعية في مصر والشرق ولم تجد دولة العلم والثقافة من الدولة رعاية ولا عطفا، اللهم إلا نوعا ضئيلا من التشجيع لا يجدي ولا يبعث على المجد والرخاء[٣].

ولا شك أن كل ذلك أورث الأزهر صبغة من التقليد العلمي، وأضاع منه روح التجديد والاجتهاد فأصبحت غاية رجاله نقل ماورثوه عن السلف في أمانة وإخلاص دون العناية بالبحث والتمحيص والموازنة والتحقيق، وعكف شيوخه على دراسة الكتب التقريرية التي ألفت في

(١) الأزهر في ألف عام، محمد عبد المنعم خفاجي، ١١٥/١، عالم الكتب بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ط٢ سنة١٤٠٨هـ

(٢) حسن العطار، محمد عبد الغني، ص١٨، مرجع سابق

(٣) يراجع الأزهر في ألف عام، ٢٤٨/٢-٢٤٩، مرجع سابق، والأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف وشئون الأزهر، باب التربية والتعليم بالأزهر، الدكتور أحمد شلبي، والدكتور أحمد الحوفي، ص٢٢٣-٢٢٤، مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٨٣-١٩٦٤م.

العصور المتأخرة دون الرجوع إلى الأصول الأولى التي ألفت قديما والتي قلت فيها روح البحث والجدة والابتكار. وكانوا يقدسون كل ما يتصل بالقديم من خلق وعادات ودين، وكانت الدراسة قاصرة على العلوم الدينية وما يتصل بها من العلوم اللغوية وقليلا من الفلسفة، وقلت فيه الدراسات العقلية والفلسفية في كتبها الواسعة التي كان يحرمها عصره،. . . وكانت كل جهود الأزهر في هذا العصر العثماني هي المحافظة على التراث القديم، والذود عنه والقيام بشرحه والتعليق عليه دون زيادة به أو تغيير في أصوله أو تجديد في بحوثه، وليس في ذلك من ذنب، فالأحوال السياسية والاجتماعية التي عاش فيها المسلمون آنذاك كانت باعثة على الضعف العقلي الذي تجلى أثره في بيئة الأزهر العلمية"(١).

"وبالرغم من ذلك استطاع الأزهر الشريف أن يسدي إلى اللغة العربية والعلوم الإسلامية أجل الخدمات، فصمد للمحنة، واستطاع أن يحفظ علوم الدين، ولغة القرآن من الضياع. . . . وظل منارة الحائر يقصده طلاب العلم من كل فج لينهلوا من علومه. فاستطاعت مصر بفضل أزهرها أن تحمي هذا التراث نحو ثلاثة قرون. . . وربما كانت هذه المهمة السامية التي ألقى القدر زمامها إلى الجامع الأزهر في تلك الأوقات العصيبة في حياة الأمة المصرية والعالم الإسلامي بأسره، هي أعظم ما أدى الأزهر من رسالته، وأعظم ما وفق لإسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الحافل"(٢).

---

(١) المصدرين السابقين

(٢) يراجع الأزهر في ١٢ عام، إعداد لجنة مشكلة برئاسة الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر، ص١٧، الدار القومية للطباعة والنشر، دون تاريخ، والأزهر أثر وثقافة، سعاد ماهر، ص٣، دراسات في الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، عدد ٢٢، ١٥جمادي الأولى ١٣٨٢هجرية/١٤أكتوبر ١٩٦٢م، والأزهر في الف عام، ١١٦/١، مرجع سابق

وفي الوقت الذي كان الأزهر قد انطوى على نفسه، وذوت آثاره العلمية، فقد استطاع بما له من نفوذ في نفوس العامة والخاصة أن يحمل السلاطين على احترام مكانته، وعلى اللجوء إليه في الملمات، فقد أظهر بعض سلاطين العثمانيين احترامهم للأزهر ليكسبوا على الأقل قلوب المصريين إلى جانبهم، وليظهر السلطان العثماني أمام المصريين بأنه حاكم مسلم مثلهم، وهو سني مثلهم، ولذلك فهو لا يختلف عنهم في اظهار احترامه وتقديره للأزهر(١).

ثانيا: الحياة السياسية في عصر الشيخ حسن العطار.

شهدت مصر في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي درجة كبيرة من الضعف والتدهور وأن النظام العثماني المملوكي قد وصل إلى غاية من الضعف والفساد بسبب الصراع السياسي والعسكري بين البيوتات المملوكية، وعجز الدولة العثمانية عن التعامل معه أو إحكام قبضتها على البلاد، فضلا عن عجز هذا النظام عن إنجاز شيء لصالح مصر والمصريين"(٢).

فلقد ولد الشيخ حسن العطار في أول الثلث الأخير من القرن الثامن عشر سنة ١٧٦٦م. والحق أن الدولة العثمانية في ذلك الحين كانت مشغولة بضعفها وتقهقر الأمور فيها عن أن توجه عنايتها إلى مصر أو إلى أي بلد آخر من البلدان التابعة لها. فقد كان عندها من المشاغل والمسائل ما يصرفها عن أن تتجه بإصلاح هذه البلاد التي

(١) ينظر الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا، دكتور شوقي عطا الله الجمل، ص١٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، والأزهر في الف عام، ١/١١٦، مرجع سابق

(٢) ينظر الحداثة والامبريالية الغزو الفرنسي واشكالية نهضة مصر، دكتور أحمد زكريا الشلق، ص٤٧، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هجرية/٢٠٠٦م

كانت بحاجة إلى الإصلاح، وكانت الحروب والمنازعات التي قامت بينها وبين النمسا وروسيا في ذلك العهد أكبر باعث للمماليك على أن يحاولوا التخلص من سيادة تركيا والاستقلال بمصر(١).

وقد كان هذا الحادث بعد ميلاد العطار بعامين اثنين، ولا شك أنه قد بدأ في مطلع شبابه يعي أمثال هذا الحادث. . . ولا شك أنه –وهو في العشرين من عمره قد شاهد الحملة العسكرية التركية التي جردتها الدولة العثمانية على مصر سنة ١٧٨٦م لكي تسترد سلطتها فيها. كما شاهد بعينه قمة الصراع بين البكوات المماليك"(٢). وشغلوا المماليك بأطماعهم، وقامت بينهم المنافسات الحربية المتتابعة، وكان الشعب هو دائمًا الضحيةَ بما كان يصيبه من سلبٍ ونهب، أو مُصادَرة لأمواله أو اغتصابٍ لحقوقه(٣).

وعلى هذا استمرت البلاد مسرحا للصراع والنزاع بين القوى السياسية المسيطرة عليها، وكان لهذا أسوء الأثر في حالة البلاد السياسية، فقد صارت مسرحا للفتن والدسائس والصراع بين القوى المسيطرة، مما أدى لتأخر البلاد وتقهقرها في كل مناحي الحياة.

(١) حسن العطار، محمد عبد الغني، ص٦–٨، مرجع سابق

(٢) المصدر نفسه

(٣) محاضرات عن الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث، ص٧٨، مرجع سابق

الفصل الثاني: الإصلاح والتجديد عند الشيخ العطار

المبحث الأول: مفهوم الإصلاح والتجديد عند الشيخ العطار

قام الشيخ حسن العطار بالدعوة إلى التجديد، والتحرر من قيود التقليد، فاستعمل عقله الحر في كتاباته وبحوثه، ولم يجر على ما جمد عليه غيره من أفكار المتقدمين، وأقوال السابقين. فكان له من وراء ذلك آراء وأفكار خالف بها من سبقه. فقد أدرك الشيخ العطار أنه لابد من إحداث ثورة فكرية في المفاهيم الإسلامية، لأن التحدي الذي تواجهه المجتمعات الإسلامية في القرن التاسع عشر يختلف عما واجهته من قبل، واقتضت الضرورة لتقديم مشروع إصلاحي تجديدي معرفة مواطن الضعف والخلل، لأن لكل مجتمع ظروفا مختلفة تؤثر فيه، فتحديد خطوات المشروع الإصلاحي التجديدي يكون على أساس علاج مواطن وأسباب الخل.

"وكانت قوة الوازع الديني عند الشيخ العطار والطهطاوي الموجه الأول للخطاب النهضوي المصري، فقد فطن جميعهم إلى أن تجديد الفكر الديني بالقدر الذي يتيح التعلم من الآخر والاستفادة من الأغيار هو القاعدة الرئيسية لهذا الخطاب، أما التبعية والتقليد والتغريب والفناء في الآخر فلن يوصلهم إلى المدنية التي كانوا يرمون إليها، أضف إلى ذلك أن معظم الأفكار التي طرحها قادة الفكر في النصف الأول من القرن العشرين لم تكن ضد الثابت العقدي، بل كانت تناهض سلطة الفكر الموروث سياسيا كان أو اجتماعيا الأمر الذي يثبت أن حركة الإصلاح والتجديد في مصر كانت مغايرة تماما لحركة التنوير الأوروبية"[1].

ويفرق العطار بين الإصلاح والتجديد والتقليد، فالإصلاح والتجديد عنده عمل عقلي يمكن صاحبه من نقد الموضوع المراد إصلاحه وتجديده

(١) تجديد الخطاب الحضاري في مصر ومشروع النهضة، دكتورة عصمت حسين سيد نصار، ص٧، حولية كلية الآداب، بني سويف، مجلد ١، ٢٠١٢م

فيقف على صحيحه وثوابته ويستبعد الفاسد من عوارضه ويستحدث عوضا عنها ما يتلاءم مع الأصل ويصبح نافعا ملائما للعصر، أما التقليد فهو المسايرة للغير فحسب، دون فحص أو تحليل أو الإتيان بدليل أو حجة تبرز اتباعه، ولا يفرق العطار بين تقليد الموروث وتقليد المستحدث، فكلاهما مذموم، فليس كل الموروث نافع وليس كل المستحدث ضار، ومن ثم ينبغي على المصلح المجدد الاجتهاد في فحص هذا وذاك"(١).

"كما رفض العطار ومدرسته ربط الإصلاح والتجديد بالتبعية والفناء في الآخر، ورأوا أن إبقاء المصلح المجدد على المشخصات والثوابت التي تكون صلب الهوية، لا يعني التسليم الأعمى بصحتها دون فحص ونقد للكشف عن جوهرها وتخليصها مما أعاق فاعليتها، كما رأوا أن المحدث الذي ينبهر بالغريب والعجيب في ثقافة الأغيار، ويدعو لنقله دون درس ونقد لبنيته وأوضاعه وخلفياته وآثاره لا يمكن وصفه بالمصلح المجدد بل هو عين المقلد، فالتقليد هو التقليد للعتيق كان أو للمستحدث الوافد"(٢).

ومن هنا يتضح أن الشيخ العطار كان يحمل على التقليد والمقلدين ويدعو إلى النقد والاجتهاد ويحث عليه بوصفه أداة لمعرفة الصواب والحق من الأفكار. ويقوم الإصلاح والتجديد الذي دعا إليه على أسس من تعاليم الإسلام، حتى لا يكون هناك إفراط في مجال الإصلاح والتجديد وتحكيم العقل فيحدث إفلات من تعاليم الدين، كما أراد الشيخ العطار إثبات أن الدين ليس عقبة أمام التطور والتغير المادي ومن ثم فإن حرية نقل مظاهر الحضارة الأوروبية يجب أن توجد وذلك في إطار يحفظ ويصون الدين الإسلامي.

---

(١) حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن العطار، ٤٤٢/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، وتجديد الخطاب الحضاري في مصر ومشروع النهضة، ص٣٣، مرجع سابق

(٢) تجديد الخطاب الحضاري في مصر، ص٣٦–٣٧، المرجع السابق، وأحمد فارس الشدياق قراءة في صفائح المقاومة، دكتور عصمت نصار، ص١٦٢، دار الهداية، القاهرة، ٢٠٠٥م

المبحث الثاني: بواعث الإصلاح والتجديد عند الشيخ العطار

هناك عدة عوامل أثرت في تكوين الشيخ حسن العطار الفكري، وجعلته ينحو هذا المنحى في الإصلاح والتجديد، وكان من أهمها ما يلي:

١- تأثر الشيخ العطار بالشيوخ المصلحين المجددين الذين قرأ عليهم وخاصة الشيخ محمد الصبان والشيخ محمد الأمير، الذين كانا من العلماء المصلحين المجددين في أواخر القرن الثامن عشر. ولا يستبعد أن يكون العطار قد تأثر بالشيخ محمد مرتضى الزبيدي[١] أستاذ صديقه عبد الرحمن الجبرتي[٢]، فقد كان الزبيدي من العلماء المصلحين المجددين في ذلك الوقت، وذلك عن طريق ما يرويه له صديقه الجبرتي عن الاتجاهات الإصلاحية التجديدية التي كان الشيخ الزبيدي ينتهجها ويبثها بين تلامذته.

٢- تأثره بالأفكار الإصلاحية التجديدية التي نادى بها الشيخ محمد المرعشي "سجاقلي زاده"[٣] فقد اهتم العطار بشرح رسالة المرعشي في

---

(١) مُرْتَضى الزَّبِيدِي: (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ = ١٧٣٢ – ١٧٩٠ م) محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى: علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله، من كتبه (تاج العروس في شرح القاموس – ط) (الأعلام، ٧/٧٠)

(٢) الجَبَرْتي: (١١٦٧ – ١٢٣٧ هـ = ١٧٥٤ – ١٨٢٢ م) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: مؤرخ مصر، ومدوّن وقائعها وسير رجالها، في عصره. ولد في القاهرة وتعلم في الأزهر، وجعله (نابليون) حين احتلاله مصر من كتبه الديوان. وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد عليّ. وقتل له ولد فبكاه كثيرا حتى ذهب بصره، ولم يطل عماه فقد عاجلته وفاته، مخنوقا. وهو مؤلف (عجائب الآثار في التراجم والأخبار – ط) أربعة أجزاء، ويعرف بتاريخ الجبرتي (الأعلام ٣/٣٠٤)

(٣) المَرْعَشي(٠٠٠ – ١١٤٥ هـ = ٠٠٠ – ١٧٣٢ م) محمد بن أبي بكر المرعشي، المعروف بساجقلي زاده: فقيه حنفي من العلماء، مشارك في معارف عصره. من أهل مرعش. قام برحلة دراسية التقى بها في دمشق بالشيخ عبد الغني النابلسي وتصوف على يده وعاد إلى مرعش فكانت له حلقة لتدريس الطلاب. وصنف نحو ٣٠ كتابا ورسالة، منها (شرح الرسالة القياسية – ط) في المنطق، و (تقرير القوانين المتداولة – ط) في علم المناظرة، و (الرسالة الولدية – ط) (الأعلام، ٦/٦٠)

آداب البحث المسماة الرسالة الولدية[١] وشرحها مرتين المرة الأولى عام ١٢١٠هجرية/١٧٩٥م، والمرة الثانية حين شرحها درسا بدمشق في عام ١٢٢٦هجرية/١٨١١م، وعلى هذا لا نستبعد أن يكون العطار قد اطلع على رسالة المرعشي في ترتيب العلوم[٢]، وتأثر بالآراء الإصلاحية التجديدية التي وردت بها.

٣- اتصاله بالعلماء الفرنسيين أثناء الحملة الفرنسية على مصر وخاصة المهتمين منهم بالدراسات الشرقية والإسلامية وإعجابه بالحضارة الفرنسية الوافدة التي تختلف تماما الاختلاف عن الحضارة المصرية، كما هاله الفرق الكبير بين الحضارتين، وقد انعكس هذا التأثر على أفكاره وابتعاده عن التقليد الذي ساد الفكر الإسلامي دهرا طويلا ولذا فقد نادى بدعوته الشهيرة بتجديد المعارف.

٤- الرحلة التي قام بها إلى تركيا وبلاد الشام. التي استمرت قرابة عشرة أعوام كان لها دور كبير في تكوينه الفكري، فقد التقى بعلماء كثيرين وتناقش معهم كما أخذ عنه، وأدى هذا بالتالي إلى نضوجه وتطور أفكاره، وقد عبر العطار عن ذلك في الإجازة التي أعطاها للشيخ

(١) كتاب في علم البحث والمناظرة هو عبارة عن نص مختصر في أداب البحث والمناظرة كتبها مؤلفها ونالت شهرة واسعة عند العلماء وكثرت الشروح عليها وقد قسمها على بابين وفصول وامتازت بالايجاز الذي لا يخل بالمعنى

(٢) تناولت رسالة المرعشي(ترتيب العلوم) عدة مواضيع أهمها: ((في تعداد الفنون النافعة نفعا يعتد به) (في فوائد العلوم المذكورة) (في تقسيم العلم إلى شرعي وغير شرعي) (اشتراك أسماء العلوم بين المعاني الثلاثة) (في أحكام العلوم) (حكم العلم كحكم المعلوم) (حكم علم الحرام والمكروه إذا فشا بين الناس) (علم ما ليس من ضروريات الدين) (مراتب العلوم) (في المحرم من العلوم) حكم تعلق المنطق) في الكلام المتعلق بكل فن: علم اللغة-علم الاشتقاق-علم العروض-علم التجويد-علم مرسوم المصاحف-علم القراءات-المنطق-علم المناظرة-علم الكلام- الرياضيات-الهندسة-الحساب-الهيئة-علم الطب-علم التشريح-علم الموعظة-علم المحاضرات-علم التواريخ-علم الفراسة)

حسن البيطار الدمشقي[1] فقال: " وقد يسر الله حين سياحتي الرومية والشامية والحجازية، فرأيت جهابذة فضلاء وأساتذة نبلاء قد تسنموا غارب الفضل واجتنوا ثمار العقل فأخذت عنها بعضا من العلوم وربحت تجارتي بما استفدته من دقائق المنطوق والمفهوم"[2].

المبحث الثالث: أسس الإصلاح والتجديد عند الشيخ العطار.

أولا: في ميدان التعليم والثقافة.

التعليم هو أساس الإصلاح ومدخل تغيير واقع الناس، بل إن القرآن الكريم أمر المسلمين بتعليم غيرهم حتى ولو كانوا مشركين، قال تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ "[التوبة: ٦] وتعليم بني البشر لإصلاح أمرهم هو المهمة الرئيسة للأنبياء والرسل، وهو ما أكدته الكثير من آيات القرآن الكريم. من ذلك قوله تعالى: "لقد مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ "[آل عمران: ١٦٤].

(١) البَيْطار(١٢٠٦ – ١٢٧٣ هـ = ١٧٩١ – ١٨٥٦ م) حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمد، المعروف بالبيطار: فاضل، دمشقي المولد والوفاة، شافعيّ المذهب. تولى الخطابة والإمامة والتدريس في جامع كرم الدين (المعروف الآن بجامع الدقاق) وصنّف (بذل المرام في فضل الجماعة وأحكام المأموم والإمام(الأعلام، ١٧٨/٢)

(٢) الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد، دكتور عبد الله العزباوي، دار الشروق، القاهرة، سلسلة التاريخ الجانب الآخر إعادة قراءة للتاريخ المصري، وينظر حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ) ، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية، ص٤٩٠ –٤٩٢، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م

ويعد الشيخ العطار أول من نادى بإصلاح الأزهر الشريف، عن طريق تدريس مختلف التخصصات العلمية فيه، وعدم اقتصار الدراسة على العلوم الشرعية فقط، وقد اتخذت جهود العطار عدة مظاهر:

١- نقده إهمال العلوم الحديثة:

جعل الشيخ العطار ينبه الأزهرين في عصره إلى واقعهم الثقافي والتعليمي، ويبين ضرورة إدخالهم المواد الممنوعة كالفلسفة والأدب والجغرافيا والتاريخ والعلوم الطبيعية.

يقول الشيخ عبد المتعال الصعيدي[(١)]: " "لما تولى محمد علي باشا حكم مصر اتصل الشيخ حسن العطار به، وتأثر بما كان يبذله من تلك الجهود الجبارة في النهوض بمصر في العلم والصناعة والزراعة والتجارة، وقد تولى في عهد محمد علي منصب شيخ الأزهر من سنة ١٢٤٦هجرية إلى سنة ١٢٥٠هجرية، وهي السنة التي توفي فيها. فلما أدرك من نهضة الفرنسيين ما أدرك، وشاهد من جهود محمد علي في النهوض بمصر ما شاهد، حز في نفسه غفلة أهل الأزهر عن الأخذ بأسباب النهوض، وقعودهم عن مسايرة ركب الإصلاح، فكان يرى الدنيا تسير بجوارهم وهم ساكنون، ويرى الأحوال تتغير في مصر وهم لا يتغيرون، فيستولي عليه الغم والحزن، ثم يفرج عن نفسه بشكوى خافتة يبثها في مواضع متفرقة من كتبه لا يعثر الباحث عليها إلا مصادفة،

(١) عبد المتعال الصعيدي(١٣١٣ – بعد ١٣٧٧ هـ = ١٨٩٤ – بعد ١٩٥٨ م) عالم إصلاحي من شيوخ الأزهر بمصر. ولد في قرية كفر النجبا " من الدقهلية. ومات أبوه وهو ابن شهر فربته أمه. وتخرج بالجامع الأحمدي (١٣٣٦) ودرّس فيه، ثم كان أستاذا بكلية اللغة العربية بالأزهر (١٣٦٨) وألف كتبا كثيرة طبعت كلها، منها " نقد نظام التعليم الحديث للأزهر " و " العلم والعلماء ونظام التعليم " و " تاريخ الجماعة الأولى للشبان المسلمين " و " في ميدان الاجتهاد " و" والوسيط في تاريخ الفلسفة الإسلامية " و " المجتهدون في الإسلام(الأعلام، ١٤٨/٤)

ولا يجدها فيها إلا استطرادا، لأنه كان في يأس من أهل الأزهر، ولم يكن يرى حوله من يسمع شكواه، فلم يتحدث بها إلا في تلك المواضع، لعل أحدا يراها بعده فيسمع لها، وينتفع بها بما لم ينتفع به أهل عصره" (١).

فلقد كان علم الأزهر في عصره مقصورا على الدين وحده. وكان الشيخ العطار قد عاشر علماء الحملة الفرنسية، وقرأ ما ترجموا من كتب علمية الى التركية والعربية، في الهندسة والعلوم الطبيعية والفلك والصناعات الحربية، ورأى كيف يحولون العلم الى عمل، فآمن بضرورة الدعوة إلى مثل هذا التحول، ووضع بنفسه المؤلفات في المنطق والفلك والطب والطبيعة والكيمياء والهندسة والعلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية. وتولى منصب شيخ الأزهر، وأمر بتدريس المواد الممنوعة كالجغرافيا والتاريخ. وحتى تدريس الأدب كان ممنوعا في الأزهر، فحرض تلميذه الشيخ الطنطاوي على تدريسه كما حرض تلميذه الآخر رفاعة الطهطاوي على تدريس الحديث والسنة (٢).

فيستطرد الشيخ العطار في حاشيته على جمع الجوامع بعد ذكر العلوم العصرية قائلا: إن مسألة الخلاء ومسألة إثبات الميل في الأجسام من مسائل العلم الطبيعي، وبتحقيقها ينكشف للفطن أسرار غريبة، وعليها ينبني كثير من مسائل جر الأثقال، وعلم الحيل، واختراع الآلات العجيبة، وقد عربت كتب في زماننا من كتب الفرنجة، وفيها أعمال كثيرة، وأفعال دقيقة، اطلعنا على بعضها، وقد استخرجت تلك الأعمال بواسطة الأصول

(١) تاريخ الإصلاح في الأزهر وصفحات من الجهاد في الإصلاح، ص١٩، مرجع سابق، ويراجع الجامع الأزهر باعثا لشرارة النهضة الموسوعية العربية، دكتور محمد الجوادي، ص٨، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ٢٠١٦م

(٢) الأزهر في الف عام، ٣٣٦/٢، مرجع سابق

الهندسية والعلوم الطبيعية، وتكلموا في الصناعات الحربية والآلات النارية، ومهدوا فيها قواعد وأصولا، حتى صار ذلك علما مستقلا ذا فروع كثيرة، ومن سمت به همته إلى الاطلاع على غرائب المؤلفات، وعجائب المصنفات، ظهرت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم، وتنزهت فكرته –إن كانت سليمة–في رياض الفهوم. . . فلا تجعل سعيك لغير الحصول على الكمالات العرفانية مصروفا، ولا تتخذ غير نفائس الكتب أليفا مألوفا [١].

ومن الوقائع الطريفة والمهمة التي حدثت في عهده أن أحد الطلاب همَّ بقتل الطبيب كلوت بك، وهو يقوم بتشريح جثة في مشرحة مدرسة الطب بأبي زعبل، فهم بأن يطعنه بخنجره، ولكن الطلاب حموه، من أن يصاب بسوء فوقف شيخ الأزهر «حسن العطار» في امتحان مدرسة الطب يشيد بفائدته في تقدم الإنسانية، فكانت هذه شجاعة بمثابة الفتوى التي اعتبرت نقطة انطلاق لتعليم الطب، وقد نادى العطار بضرورة تغيير مناهج الأزهر" [٢].

ومن هنا يتبين أن الشيخ العطار لم يقتصر في دعوته على مجرد الدعوة لأفكاره الإصلاحية التجديدية، إنما هو يردف القول بالعمل، فإلى جانب تدريسه وتأليفه في العلوم العربية نجده يكتب في المنطق والفلك والطب والطبيعة والكيمياء والهندسة، وهذا ما سيتضح من خلال مؤلفاته التي سنعرضها في الصفحات القادمة.

(١) ينظر حاشية العطار على جمع الجوامع، ٤٦١/٢، مرجع سابق، وتاريخ الإصلاح في الأزهر وصفحات من الجهاد في الإصلاح، ص٢١، مرجع سابق

(٢) العطار صاحب رؤية تقدمية في علاج مشكلات وهموم الأمة الإسلامية للحاق بركب الحضارة، خالد أبوالروس، جريدة النهار الكويتية، العدد ٢٧٩١ – ٢٠١٦/٠٦/١٣

٢- نقده إهمال كتب المتقدمين

نادى الشيخ بالإفادة من العلماء المتقدمين وعدم الاقتصار على العلماء المتأخرين، ووجوب الرجوع إلى الكتب الأصول وعدم الاكتفاء بالملخصات والمتون المتداولة فيقول مبينا الفارق بين علماء عصره والعلماء الأفذاذ الذين عرفهم العالم العربي قبل عصر العطار، ومحطما أكذوبة تحريم الدين الإسلامي لبعض العلم: " إن من تأمل في علمائنا السابقين يجد أنهم كانوا مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية والأحكام الدينية لهم إطلاع عظيم على غيرها من العلوم وإحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع. . . ثم هم مع ذلك ما خلوا في تثقيف ألسنتهم و ترقيق طباعهم من رقائق الأشعار ولطائف المحاضرات. . . وفيما انتهى إليه الحال في زمن وقعنا فيه علم أن نسبتنا إليهم كنسبة عامة زمانهم، وإن قصارى أمرنا النقل عنهم بدون أن نخترع شيئا من عند أنفسنا، وليتنا وصلنا إلى هذه المرتبة بل اقتصرنا على النظر في كتب محصورة ألفها المتأخرون، والمستمدون من كلامهم. . نكررها طول العمر، ولا تطمح نفوسنا إلى النظر في غيرها، حتى كأن العلم انحصر في هذه الكتب. . . فلازم من ذلك أنه إذا ورد علينا سؤال من غوامض علم الكلام تخلصنا منه بأن هذا كلام الفلاسفة ولا ننظر فيه، أو مسألة أصولية قلنا لم نرها في جمع الجوامع، فلا أصل لها، أو نكتة أدبية قلنا هذا من علوم أهل البطالة، وهكذا فصار العذر أقبح من الذنب"[(١)].

(١) ينظر حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن العطار، ٢/٢٤٧-٢٤٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، وشيوخ الأزهر، أشرف فوزي صالح، ٢/٣٧، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص٣٠، مرجع سابق

"فهو من القلائل الذين جمعوا بين التدريس في الأزهر في أول عمره ومشيخة الجامع الأزهر في ختام حياته، وكان حلقته بالأزهر تغص بالطلاب، فكان العلماء يتركون حلقات غيره ويتكاثرون على حلقته يستمعون. ولا شك أن تحرر الشيخ العطار الفكري وبعده عن الجمود، ودعوته الجديدة الى الأخذ بالعلوم الحديثة مع الاهتمام بالعلوم القديمة، قد جذب إليه الطلاب من كل فج، وهداهم إلى مجلسه في أثناء تدريسه بالأزهر، ويستوي في ذلك مقامه بمصر أم بالخارج، ففي مقامه بدمشق لفت إليه أنظار طلبة العلم هناك (فتلقاه أهلها بمالاق، وعقدوا على تفوقه وتفرده بالفضائل كلمة الاتفاق") [١].

ومن هنا يتبين أن الشق الأول من دعوة الشيخ العطار الإصلاحية التجديدية كان يتمثل في مناداته بضرورة تطوير التعليم الأزهري من حيث المناهج ومواد الدراسة، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية وبتدريس المواد الممنوعة، وقد أسهم في تحقيق تلك الدعوة من خلال مؤلفاته ومحاضراته، وما بثه في تلاميذه، فلقد بث فيهم روح البحث والجد، ووجههم لدراسة العلوم الحديثة.

٣- الدعوة لتطوير مناهج وأساليب التعليم.

لاحظ الشيخ العطار أن تفسير البيضاوي كاد يكون مهجورا في الأزهر، فقام بقراءته والتعليق عليه بطريقة مشوقة جذبت إلى حلقته كثيرا من العلماء والطلبة، فكان إذا بدأ درسه ترك كبار العلماء حلقاتهم وأقبلوا عليه مستزيدين من علمه الفياض[٢].

(١) الأزهر في الف عام، ٣٢٦/٢، مرجع سابق

(٢) الحاشية الكبرى على مقولات البليدي وحاشيتاه الكبرى والصغرى على شرح مقولات السجاعي، حسن العطار، ص٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ويراجع الجامع الأزهر باعثا لشرارة النهضة الموسوعية العربية، ص١٨، مرجع سابق

ولعله بذلك يكون قد بدأ ما لجأ إليه الأفغاني ومحمد عبده من إعادة تفسير القرآن في ضوء الظروف المعاصرة. والمهم أن هذا النص يدل على أن التربة من حول العطار لم تكن مواتا تماما، فإن قيام زملائه الشيوخ إلى حلقته، مع اشتداد معارضتهم له ونقمهم عليه لنزعته الإصلاحية التجديدية ولحملاته على تقصيرهم العلمى، لهو أمر له دلالته، كما أنه وثيقة تشهد بمقدرة هذا العالم الفذ [١].

٤- توجيه تلاميذه إلى الإصلاح والتجديد فيما يعالجونه من أبحاث ودراسات.

نجح الشيخ العطار في إدخال الدراسات الأدبية بالأزهر على يدي تلميذه محمد عياد الطنطاوي، كما دفع تلميذه الطنطاوي ليشرح مقامات الحريري بأسلوبه الأدبي البليغ، ودفع تلميذه الطهطاوي لتدريس الحديث والسنة بطريق المحاضرات دون التقيد بكتاب أو نص[٢].

٥- مطالبته بضرورة تلاقي الحضارات لإحداث التبادل الثقافي

عندما تولى العطار مشيخة الأزهر الشريف في عهد محمد على باشا، شجع الشيخ الوالي على إرسال البعوث لأوروبا للتعلم في الجامعات الاوروبية وتلقى العلوم الحديثة في كافة فروع المعرفة.

"فهو الذي قدم الشيخ "رفاعة الطهطاوي" "لمحمد علي"، ليكون إماما للبعث الذي أرسل إلى فرنسا في سنة ١٨٢٦م"[٣]، وكان الشيخ حسن العطار من المعجبين بذكاء رفاعة الطهطاوي، المقدرين كفايته وعلمه، فزكَّاه لهذا العمل الذي كان باكورة نجاحه ومطلع شهرته. واتجه مع هذه البعثة إلى باريس موصًّى من شيخه العطار بأن يجدي على

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص٣١، مرجع سابق
(٢) الحاشية الكبرى على مقولات البليدي، ص٧، مرجع سابق
(٣) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، ١٣٤/٣، مرجع سابق

بلاده بعمل رحلة، يسجل فيها ما يشاهده في فرنسا من أحوال وأخلاق وعادات، فألف رحلته المشهورة التي سماها: "تخليص الإبريز والديوان النفيس[١]، وأوصى العطار بها حتى قامت الحكومة على طبعها ونشرها [٢].

ولما جاء الفرنسيون إلى مصر اتصل الشيخ العطار بهم، فكان يستفيد منهم الفنون المستعملة في بلادهم، ويفيدهم اللغة العربية، فالشيخ حسن العطار كان مستعدًّا بفطرته ورغبته في الاستكمال والاشتغال، وغرائب الفنون إلى الاتصال بالفرنسيين؛ ليقف على حضارتهم، وعلومهم الحديثة، وثقافتهم الغربية، وهو علَّمَ الفرنسيين لغة العرب، وتعلَّم منهم لغتهم، وفي ذلك من تبادل الثقافة شيءٌ كثير؛ إذ أنه ينقل بالاتصال بهم وتعلم لغتهم طرفًا من علومهم ومعارفهم, ويقف بالتفاهم معهم على جوانب من أخلاقهم ومعيشتهم وعاداتهم، وهم يعرفون بالتفاهم معه طرفًا من علم المصريين وأخلاقهم وعاداتهم ومعيشتهم ومعاملاتهم"[٣].

٦- الدعوة إلى إصلاح الفكر، والأخذ بأسباب التقدم والحضارة.

كان الشيخ العطار يرى أن النهضة الإسلامية لن تتحقق إلا بالعلوم والمعارف، والأخذ بأسباب التقدم والحضارة، فكان يقول: "إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها، ويتجدد ما بها من المعارف مما ليس فيها، وكان ويتعجب مما وصلت إليه تلك الأمة من المعارف والعلوم، وكثرة كتبهم وتحريرها، وتقريبها لطرق الاستفادة [٤].

(١) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، ٩٣/١، مرجع سابق

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ١٣٣ -١٣٤

(٣) المصدر نفسه، ٤٢/١

(٤) يراجع الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، علي باشا مبارك، ص٣٨، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، ط١، ١٣٠٥هجرية، والجامع الأزهر باعثا لشرارة النهضة، ص١٧-١٨، مرجع سابق

٧- الإصلاح والتجديد في الدراسات الأدبية.

أفلح الشيخ العطار في ادخال الدراسة الأدبية إلى الأزهر على يد تلميذه الشيخ محمد عياد الطنطاوي المدرس بالأزهر أولا، وبدروسه في الانشاء والكتابة الأدبية ثانيا، وبالروح العامة التي خلعها على مجالس الأدب في أوائل القرن الماضي ثالثا، وهي روح أضفت عليه من صفات الشعر والأدب فوق ما أضفته عليه من صفات العلم والفقه حتى أصبح العطار من الشعراء والأدباء أكثر منه من العلماء، حتى ليعد العطار أحد ثلاثة كانوا أشهر شعراء وقتهم في أول القرن التاسع عشر، كما يكفيه فضلا أنه هو الذي وجه تلميذه رفاعة الطهطاوي إلى دراسة الأدب ففتح ذلك ذهنه إلى البحث والتفكير[١].

"ويغلب على أسلوب العطار البساطة والسهولة والحرص على الفكرة ونقلها إلى القارئ، فالأسلوب عنده مجرد وسيلة للتعبير، وليس غاية في ذاته، ومع ذلك فهناك في بعض كتابات الرجل السجع والمحسنات البديعية عموما، ومن غريب الأمر أن ذلك يكثر حيث يقصد الرجل إلى الإنشاء الأدبي أو الكلام في فلسفة الأدب، ويقل في مؤلفاته العلمية حيث يسهل أسلوبه ويسلس حتى ليوشك أن يكون معاصرا" [٢].

"وكثيرا ما كان يأسف على انحطاط الأدب في عصره، ويصف شعراء زمانه بأنهم "اتخذوا الشعر حرفة، وسلكوا فيه طريقة متعسف، فصرفوا أكثر أشعارهم في المدح والاستجلاب والمنح، حتى مدحوا أرباب الحرف لجمع الدراهم، وكان منهم من كان يصنع القطعة من الشعر في مدح شخص، ثم يغيرها في مدح آخر، وهكذا حتى يمتدح بها كثيرًا من

(١) حسن العطار، محمد عبد الغني، ص٧٣، مرجع سابق

(٢) الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة، سالم بدراوي، ص٣٣ -٣٤، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، س٩، عدد٩٩، مارس ١٩٦٥م، وأعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص٣٣، مرجع سابق، وشيوخ الأزهر، ٣٨/٢، مرجع سابق

الناس، وهو لا يزيد على أن يغير الاسم والقافية"[١].

٨- الإصلاح والتجديد في علوم اللغة.

من الصعب أن نتجاهل ما يطرأ على اللغة من تغيير، فهي وطيدة الصلة ببناء الأمة، فكل الأمم لها سياسة لغوية في عالم اليوم. ووصل العطار إلى نقطة أدرك عندها بروز الصلة الوثيقة بين اللغة وميراثها وأسهم العطار في هذا الاتجاه عندما أحيا عددا من اللغويات القديمة. كما اهتم بالنحو فجعل منه علما واضحا ومنطقيا. ومن هذه الزاوية كان عمل العطار تعبيرا مبكرا عن اتجاه النحو الوافي الذي برز في مصر في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين. فمعرفة العطار بتراث اللغة العربية ساعده على أن يعد كتابا في أصول الإنشاء ليستخدمه الكتبة في الجهاز الإداري لمحمد علي. وظل انشاء العطار مستخدما طوال القرن التاسع عشر"[٢].

٩- الإصلاح والتجديد في علم الكلام

كتابات العطار في علم الكلام، تكشف عن عقل على درجة عالية من التنظيم، وإذا كان القراء المعاصرون لم يستسيغوا هذا العلم، فذلك لأن هذا العلم كان ميدان المثقفين الناقدين في عصر هيمنت عليه الثقافة الدينية، فكان علم الكلام نوعا من الغطاء للتفكير الحر[٣].

"وكان الشيخ العطار من أعلام فترة التحول والانتقال إلى نهضة القرن التاسع عشر، وأنه كان أبرز صناعها، ورغم أنه كان كعلماء زمانه،

(١) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، ١٣٣/٣، مرجع سابق

(٢) الجذور الإسلامية للرأسمالية، بيتر جران، ص١٢-١٣، ترجمة محروس سليمان، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع

(٣) الحداثة والإمبريالية الغزو الفرنسي واشكالية نهضة مصر، ص٢٦، مرجع سابق

يكتب الحواشي والشروح والتقارير، وبأسلوب قد يصعب فهمه أحيانا، إلا أن مصنفاته وكتاباته، سواء كانت مدرسية أو أصيلة، تمثل مصادر لها قيمتها وأهميتها الكبيرة، بالرغم من أنه كتبها بأسلوب وطريقة عصره المألوفة، فالشكل الذي كان يكتب به مجرد أسلوب، أما أن المضمون كان هو الأهم، وقد أثبتت حواشيه ومقالاته في علم الكلام كيف أنه كان سابقا لعصره، لا يتفق تفكيره مع الفكر السائد في زمنه، كما كشفت أعماله عن عقل يتمتع بدرجة عالية من التنظيم، وكان علم الكلام هو مجال المثقفين ذوي العقلية الناقدة، في عصر تفردت فيه النظرة الدينية على أمور العلم جميعا، وفي إطار هذا العلم طرح العطار قضايا تتصل بالثقافة العامة وحرية الفكر والمشاكل السياسية"[1].

١٠- الإصلاح والتجديد في علوم الطب

يقول محمد الطيار الكيالي[2] -شارح منظومة العطار في فن التشريح-: لما كان علم الطب بحرا لا يدرك له قرار، وتيها واسعا لا يشق له غبار، وقد دون في أصوله وفروعه الأساطين من اليونانيين، ثم الفحول من أطباء المسلمين، وكان ممن ألف فيه الإمام الأوحد الشيخ حسن العطار المصري منظومة في فن التشريح وهي من أجل المختصرات في هذا الفن أردت أن أضع له شرحا لطيفا يسفر عنه النقاب، ويظهر ما خفي منها تحت الحجاب، مع زيادات على المصنف تتميما للفائدة مع اعترافي بقلة البضاعة، والعجز في هذه الصناعة، فإني في هذا الأمر

(١) المصدر نفسه، ص٣١

(٢) محمد الكيّالي(. . . - ١٢٧٨ هـ) (. . . - ١٨٦١ م) محمد بن عبد الرؤوف بن عمر بن عبد الكريم الطيار، الكيالي، السرميني اصلا، الحلبي موطنا. طبيب. من آثاره: شرح منظومة حسن العطار في فن التشريح(معجم المؤلفين: ١٠/١٦٦، مرجع سابق)

كمبين منهج في شعاب المسالك المتوعرة، ومقنن قاعدة في كشف المدارك المتعسرة إلخ. وقد اطلع على هذا الكتاب صديقنا الطبيب النطاسي السيد عبد الرحمن الكيالي[١] المتخرج من الكلية الأميركية في بيروت، فكتب عليه بعد مطالعته:

اطلعت على كتاب «شرح منظومة الشيخ حسن العطار في التشريح» تأليف الأستاذ السيد محمد الطيار الكيالي فوجدت أن الكتاب قد ألف قبل (٦٣) سنة أي سنة ١٢٧٧ هجرية، وهو آخر كتاب عربي كتب في علم الطب القديم، وأن الناظم جمع في أرجوزته معظم علم التشريح، وزاد عليها فوائد علمية كثيرة تتعلق بمعرفة النبض ودلائله المرضية، وفي وظائف الأعضاء والأجهزة الدموية، وفي الروح وماهيتها، ولكن بصورة مختصرة وغامضة لا يفهمها العارف بفنون الطب إلا بصعوبة [٢].

"وأما الشيخ رحمه الله فقد شرح الغامض، وفصل الموجز، وأضاف إلى الفوائد حقائق علمية نافعة، وذيل المنظومة برسالة في مفردات الطب مع بيان خواصها ومنافعها، فجاء الكتاب مفيدا في محتوياته، وسهلا في

(١) الدكتور الكَيَّالي (١٣٠٤ – ١٣٨٩ هـ = ١٨٨٧ – ١٩٦٩ م) ، عبد الرحمن بن عبد القادر بن طه الكيالي: طبيب، من رجال السياسة، في سورية. حلبيّ المولد والوفاة. وصفه مؤلف (أعلام العرب) بانه عنصر من عناصر الخير والإنسانية. تعلم ببلده وبالجامعة الأميركية في بيروت حيث تخرج بالقسم الطبي (١٩١٤) وقام بالطبابة العسكرية في حماة مدة الحرب (١٩١٤ – ١٨) ثم كان رئيس أطباء المستشفى الوطني، وتولى وزارة العدل والمعارف (١٩٣٦ – ٣٩) وتجدد انتخابه للنيابة والوزارة (١٩٤٣ – ٤٦) زاول مهنة الطب إلى آخر حياته(الأعلام: ٣/٣١٠–٣١١)

(٢) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي (المتوفى: ١٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد كمال، ٣٠١/٧، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٤٠٨هجرية

عباراتــه، وجامعــا فــي طياتــه خلاصــة مــا كتبــه الأوائــل فــي علمــي التشريح"[1].

١١- الإصلاح والتجديد في التأليف

يمتاز العطار بمنهج في التأليف يبدو واضحا في كتبه الكثيرة التي كان أكثرها حواشي وشروحا وتعليقات على كتب أزهرية مشهورة متداولة بين أيدي الطلاب.

فما تميز به الشيخ العطار الدقة في التعريفات، بل الدقة في كل عبارة يقولها، ولعل هذه الدقة جاءته من عقليته المنطقية المنظمة التي ظهرت في اهتماماته بشروحه على كتب المنطق وحواشيه عليها، وخاصة حاشيته على شرح التهذيب-والتهذيب هو المختصر الذي ألفه سعد الدين التفتازاني في المنطق-، ففي حواشيه وتعليقاته الثمينة نراه واقفا للمؤلفين الأصليين بالمرصاد، يصحح أوهام عباراتهم، ويحدد معاني ألفاظهم تحديد دقيقا.

كما يميل العطار فوق دقة التعريف إلى النظرة الموسوعية في مصنفاته أو إلى الشمول والإحاطة في المسائل، بدلا من الاقتصار والاختصار فإذا قال نحوي بأن التنوين أربعة أقسام: تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين العوض – عقب عليه قائلا بأن (أقسام التنوين عشرة ونحن نتمم لك البقية إجمالا) ثم يأخذ في حصر بقية أقسام التنوين. . . ولا يقتصر في مصنفاته وحواشيه وشروحه عند حد التقرير والتفسير بل يتجاوز ذلك إلى التعقيب على المؤلفين وتصويبه لهم. . . وهو في حواشيه لا يسكت على الأخطاء النحوية واللغوية التي

(١) المصدر نفسه، ٣٠٢/٧.

قد يقع فيها المصنفون سهوا أو لبعض الاعتبارات. . . ويمتاز العطار في تأليفه بالتحقيق ومقابلة النسخ الخطية من الكتاب الواحد وهو منهج سليم في التأليف"(١).

ويوضح الشيخ العطار منهجه في التأليف فيقول في إجازته لأبي حامد الدمنتي:" لما كان لكل زمان رجال، ولكل حادثة مقال، اقتضت الحكمة الإلهية أن يقوم في كل عصر من يدون لأهل ذلك العصر على شاكلة عقولهم، ويقرب إليهم كلام من تقدم على قدر قرائحهم وفهومهم، طلباً للتسهيل، ورواماً للتحصيل ". . . الخ كلامه"(٢).

وللشيخ العطار مؤلفات عديدة تدل على سعة معارفه وثقافته، وقد شملت مؤلفاته علوم المنطق والطب والكيمياء والهندسة والتاريخ والجغرافيا، كما شملت الأدب، شعرا ونثرا، وذلك بالإضافة إلى أصول الفقه، وعلم الكلام، والنحو، والبلاغة، وكثير من الآثار التي تركها العطار لا تزال العجب العجاب مخطوطة في دار الكتب المصرية وضع فيها خلاصة فكره وتجاربه ومنها:

-في أصول الفقه:

- حاشية العطار على جمع الجوامع في أصول الفقه لابن تقي الدين السبكي طبعة ١٩٠٠، و١٩١٣

-في الأدب:

-ديوان العطار الذي يشتمل على الكثير من شعره

(١) ينظر حسن العطار، محمد عبد الغني، ص٧٧-٨٠، مرجع سابق

(٢) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني(المتوفى: ١٣٨٢هـ) ١١٦١/٢، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط٢، ١٩٨٢م

-شرح كتاب الكامل للمبرد.

-جمع وترتيب ديوان ابن سهل الأندلسي.

-في المنطق وعلم الكلام

- حاشية العطار على شرح العصام على الرسالة العضدية

-حاشية العطار على شرح إيساغوجي في المنطق لابن عمر الأبهري.

- حاشية العطار على الجواهر المنتظمات في عقود المقولات للشيخ أحمد السجاعي.

- حاشية العطار على التهذيب للخبيصي.

- حاشية العطار على كتاب نيل السعادات في علم المقولات للشريف البليدي.

- شرح السمرقندية في علم البيان.

-حاشية العطار على شرح تهذيب المنطق والكلام لسعد الدين التفتازاني.

- في علوم اللغة العربية

حاشية العطار على شرح الشيخ خالد الأزهري لكتاب قواعد الإعراب لابن هشام النحوي طبعة ١٩٢٦.

-حاشية على شرح الأزهرية على متن الأجرومية.

- منظومة العطار في علم النحو

-حاشية على لامية الأفعال لابن مالك.

الفوائد الجلية في اللغة العربية.

-في علم البلاغة

-شرح السمرقندية في علم البيان لمؤلفها ابن القاسم بن بكر الليثي السمرقندي

- في أدب المراسلات إنشاء العطار في المراسلات والمخاطبات وكتابة

الصكوك والشروط.

-في الفلك

-رسالة في كيفية العمل بالإسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط (وهي آلات رصد فلكية).

-رسالة في الرمل والزايرجة (وهما طريقتان لاستطلاع معرفة الغيب).

-في الطب

-الطب والتشريح.

-ثلاثة مقالات في الكي والفصد.

-نبذة في علم الجراحة.

-راحة الأبدان في شرح نزهة الأذهان للأنطاكي.

-حاشية العطار على الرسالة الولدية للمرعشي[(١)]. .

ثانيا: أسس الإصلاح والتجديد في الميدان الاجتماعي.

الإصلاح الاجتماعي يقوم على إصلاح شؤون الحياة للأفراد والمجتمعات، بما يحقق لهم خير الدنيا والآخرة، فينعم الناس جميعاً بالأمن والأمان، وفي هذا يصف الرسولﷺحال المجتمع بحال ركاب السفينة، حيث يكون بعضهم في أعلاها، وبعضهم الأخر في أدناها، فالذين في أدناها لا يأخذون حاجتهم من الماء إلا بالمرور من عند من كان في أعلاها، ثم أرادوا أن يخرقوها حتى لا يمروا على من فوقهم، فقد روى البخاري عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺقال: " **مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ, فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ**

(١) الجامع الأزهر باعثا لشرارة النهضة الموسوعية العربية، ص٢٠-٢٢، مرجع سابق، وشيوخ الأزهر، ٣٩/٢-٤٠ مرجع سابق، وأعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع، خليل مردوم بك، ص١٥٦، لجنة التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧١م

أَعْلَاهَا, وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا, فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ,فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا, فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا, وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا"[(١)]. ويتضح من هذا الحديث الشريف أن المجتمع إذا أهمل الإصلاح هلك الناس جميعاً، وإن تصدى لهؤلاء أهل الإصلاح فمنعوهم من ذلك نجى المجتمع كله. وانطلاقا من هذه المسؤولية فقد اتخذت دعوة الشيخ العطار لإصلاح المجتمع عدة مظاهر أهمها:

١- إصلاح الواقع الاجتماعي، وتنمية الوعي الفكري للمجتمع.

لقد كان الشيخ العطار ينشد إصلاح الواقع الاجتماعي وتنمية الوعي الفكري للمجتمع المصري وكان يرى ضرورة إصلاح الأمة اجتماعيا، ولذلك استخدم الصحافة استخدامًا قويًا في محاربة المفاسد، وتنبيه الوعي القومي والوطني. فعمل الشيخ العطار على مساعدة محمد على في انشاء جريدة الوقائع المصرية وهى أول صحيفة عربية عامة ١٨٢٨م، وقد تولى تحريرها جماعة من نخبة الأدباء والكتاب من تلاميذ العطار وكان هو على رأسهم[(٢)].

٢- ربط الأخلاق بنهضة الأمم.

من المعلوم أن الأخلاق الفاضلة هي التي تعصم المجتمعات من الانحلال وتصون الحضارة والمدنية من الضياع ومن دونها لا تنهض

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، كتاب الشركة، رقم(٢٤٩٣) ١٣٩/٣، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

(٢) ينظر أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص٢٧، وموجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ. د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، ٦٧٨/٣، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

الأمم ولا تقوى، فهي الأساس لنهضة الأمم ومقياس تطورها وتقدمها، ولهذا خشي الشيخ العطار على المبعوثين من العادات الفرنسية، فخاف على أخلاقهم ولغتهم حتى لا تتفلت منهم، ففكر في إرسال مَنْ يراقبهم من الناحية الدينية.

يقول الدكتور عبد المقصود باشا[١]: "خاف الشيخ حسن العطار على أعضاء هذه البعثات العلمية والعسكرية أن يذوبوا في المجتمع الأوروبي ويستهويهم المقام هناك وعدم العودة مرة أخرى إلى أرض الوطن، فتجسدت حنكته في الإشارة على حاكم مصر في ذلك الوقت محمد على باشا، أن يعين لهؤلاء المبعوثين إماماً هو تلميذه رفاعة رافع الطهطاوي، الذى كان أحد طلاب الأزهر المتفوقين والمتخصصين في العلوم الدينية ليفتيهم في أمور دينهم ويؤمهم في الصلاة ويعدل لهم أي اعوجاج سلوكي أو نفسي"[٢].

٣- تعزيز قيم الولاء والانتماء للوطن.

تعاليم الدين الإسلامي الحنيف تحث على حب الوطن، وإعلاء مصلحته فوق أي مصلحة أخرى. فمن حب الشيخ العطار لوطنه أن أشار على محمد على باشا، بضرورة إرسال وفود طلابية أزهرية إلى أوروبا ليتعلموا فنون القتال والحرب المختلفة والحديثة.

(١) عبد المقصود: أستاذ ورئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعه الازهر القاهرة، عضو الرابطة العالمية لخريجي الأزهر، عضو المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة بجامعه الازهر، ممثل الازهر الشريف في ندوات ومؤتمرات محليه وعالميه، زار اكثر من ٤٠ دولة مبعوثا للأزهر

(٢) علماء الأزهر والمثقفون يتحدثون عن الشيخ "العطار، محمد أبو العيون، بوابة الأزهر الشريف، تاريخ ٩سبتمبر ٢٠١٧، ونهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، ص٨، دار الذخائر، القاهرة، ط١ – ١٤١٩ هـ

وكان الشيخ العطار يقصد من وراء هذه المشورة تكوين جيش مصري قوى، يستطيع الدفاع عن الوطن بعد أن أصبحت مصر في ذلك الوقت مطمعاً لكل الدول الكبرى، وأصبح موقعها الجغرافي تنمو الرغبة في الهيمنة عليه، ولذلك رأى الشيخ العطار ضرورة الوقوف في وجه هؤلاء الطامعين عن طريق تكوين جيش كان الأزاهرة هم خط دفاعه الأول[١].

"وليس هذا فحسب بل اجتمع بأعضاء هذه البعثات قبل مغادرتهم أرض الوطن، وشرح لهم ما تتعرض له مصر من أخطار خارجية ومؤامرات عالمية وكان يهدف من وراء هذا أن يستثير فيهم الحمية الوطنية التي تشجعهم على بذل المزيد من الجهد للنجاح في مهمتهم؛ ثم حثهم على التعلم الجاد لتحقيق أقصى استفادة من التقدم العلمي الذي وصل إليه الغرب في شتى مجالات العلوم، وأكد لهم أنهم أمل مصر والعالم العربي والإسلامي في تحقيق الإصلاح والتجديد العلمي"[٢].

ولعل هذا أثر في تلميذه الشيخ رفاعة الطهطاوي فها هو يتحدث عن عشقه للوطن فيقول «هو عش الإنسان الذي فيه درج، ومنه خرج، ومجمع أسرته، ومقطع سرته، ويضيف الطهطاوي: «ولا يبعد العاقل عن الوطن إلا طلب العلى (. . .). وقد جرت العادة ان البعيد عن الوطن. الذي قضى فيه جزءاً من شبابه، يتشوق إليه، سواء كان من أهل البدو أو من أهل الحضر. . . ويتوقف الطهطاوي هنا بخاصة عند وطنه مصر ليحدثنا عن تعلق المصريين بوطنهم: «ولا يشكك أحد ان مصر وطن شريف، ان لم نقل انها أشرف الأمكنة، فهي أرض الشرف والمجد في

(١) المصدر نفسه
(٢) المصدر نفسه

القديم والحديث، وكم ورد في فضلها من آيات بينات وآثار وحديث، فما كأنها إلا صورة جنة الخلد منقوشة في عرض الأرض بيد الحكمة الإلهية التي جمعت محاسن الدنيا فيها،. . . بلد كم خرج منه من كبار ملوك وسلاطين، وحكماء وأساطين، وكم نبعت منه عيون علوم، وانجلى به من البلاد سحائب غيوم، فمن ذا يضاهي مصر في كمال الافتخار، او يباريها في الجمال"(١).

ويتحدث الطهطاوي عما يسميه «واجبات المواطن» فيقول: «الوطني المخلص في حب الوطن يفدي وطنه بجميع منافع نفسه، ويخدمه ببذل جميع ما يملك، ويفديه بروحه، ويدفع عنه كل من تعرض له بضرر كما يدفع الوالد عن ولده الشر. فينبغي ان تكون نية أبناء الوطن دائماً متوجهة في حق وطنهم الى الفضيلة والشرف، ولا يرتكبون شيئاً مما يخل بحقوق أوطانهم وإخوانهم، فيكون ميلهم الى ما فيه النفع والصلاح. كما ان الوطن نفسه يحمي عن ابنه جميع ما يضره، لما فيه من هذه الصفات. . . فصفة الوطنية لا تستدعي فقط ان يطلب الإنسان حقوقه الواجبة له على الوطن، بل يجب عليه ايضاً ان يؤدي الحقوق التي للوطن عليه. فإذا لم يوف أحد من أبناء الوطن بحقوق وطنه ضاعت حقوقه المدنية التي يستحقها على وطنه"(٢).

(١) ينظر المرشد الأمين للبنات والبنين، رفاعة الطهطاوي، ص١٩٩-٢٠٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٣٣هجرية/٢٠١٢م، باختصار

(٢) ينظر المصدر نفسه، ص٢٠٩

٤- الجمع بين ثقافة الشرق والغرب.

كان للثقافة الغربية في فكر الشيخ العطار دور كبير، فكان لذلك الأثر الواضح في مجال الإصلاح والتجديد عند الشيخ العطار، فنراه قد انفتح على المعارف والعلوم الأخرى، فالحضارة عنده كل لا يتجزأ.

فتعرض كثير من الكتاب للرد على ما اتهم به الأزهر من روح الجمود التي ترددت في كثير من كتابات المبشرين والمستشرقين ودعاة التغريب بأن الأزهر قد شارف نقطة باكرة وكان له دور ضخم في ميدانين:

الأول: مواجهة الحضارة بروح الإسلام وتقبل جوانبها الايجابية.

الثانية: مواجهة الاحتلال والاستعمار ومقاومته والجهاد في سبيل دفعه وقتاله في أكثر من معركة.

وقد كشفت هذه الأبحاث أن الشيخ حسن العطار وتلاميذه هي المدرسة الأولى التي واجهت أخطاء الحضارة الغربية ابان الحملة الفرنسية، فقد كان العطار خطيب أول حفل لتخريج أول فوج لمدرسة الطب في كلمة أشار فيها إلى أن العلم دولي وأن الحضارة عالمية وأن الإغريق والمسلمين ساهموا فيه يوما ما وأن الأوربيين الآن هم أصحابه وأن على المسلمين المحدثين أن يقبلوا عليه. وهو الذي حرض تلاميذه على عبور البحر إلى الغرب. فكان تلميذه رفاعة الطهطاوي أول رائد للفكر العربي المعاصر فقد استطاع وهو الأزهري أن يدرس الفرنسية وأن يترجم منها وينشئ تيارا ضخما قوامه الجمع بين ثقافة العرب وثقافة الغرب[١].

(١) تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠/ ١٩٤٠، أحمد أنور سيد أحمد الجندي (المتوفى: ١٤٢٢ هـ) ، ص٢٦٤، دار الاعتصام

وقد أشار الشيخ الجبرتي إلى أنه شاهد مع الشيخ العطار بعض تجارب العلم وأعلن أن الإسلام أقرب إلى التجدد منذ البداءة وأن التغريب ليس له قيمة اذا اقتصر على مجرد التقليد للغرب دون أن يكون طعيما للميراث القديم(١).

ولهذا لم يكتف العطار بالكتب العربية، بل اتجه إلى الكتب التي ترجمت، فقرأها وأفاد منها، يقول عنه تلميذه رفاعة الطهطاوي في كتابه "مباهج الآداب المصرية: "وكانت له مشاركة في كثير من هذه العلوم الجغرافية، فقد وجدت بخطه هوامش جليلة على كتاب تقويم البلدان, لإسماعيل أبي الفداء سطان حماة. (٢). وله هوامش أيضًا وجدتها بأكثر التواريخ على طبقات الأطباء وغيرها، وكان يطلِّعُ دائمًا على الكتب المعرَّبة من تواريخ على طبقات الأطباء وغيرها، وكان له ولوعٌ شديدٌ بسائر المعارف البشرية"(٣).

بل يتحدث العطار نفسه عن قراءته واطلاعاته على الكتب فيقول: " وَقَعَ فِي زَمَانِنَا أَنْ جُلِبَتْ كُتُبٌ مِنْ بِلَادِ الْإِفْرِنْجِ وَتُرْجِمَتْ بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَفِيهَا أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ وَأَفْعَالٌ دَقِيقَةٌ اطَّلَعْنَا عَلَى بَعْضِهَا وَقَدْ اُسْتُخْرِجَتْ تِلْكَ الْأَعْمَالُ بِوَاسِطَةِ الْأُصُولِ الْهَنْدَسِيَّةِ وَالْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ مِنْ

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٥

(٢) أَبُو الفِدَاء(٦٧٢ – ٧٣٢ هـ = ١٢٧٣ – ١٣٣١ م) إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب: الملك المؤيد، صاحب حماة. مؤرخ جغرافي، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين، واطلع على كتب كثيرة في الفلسفة والطب، وعلم الهيأة. ونظم الشعر وليس بشاعر – وأجاد الموشحات. له (المختصر في أخبار البشر – ط) ويعرف بتاريخ أبي الفداء(٣١٩/١)

(٣) مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، رفاعة رافع الطهطاوي، ص٣١٨، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دون تاريخ

الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ"[١].

٥- الإيجابية في دعوته، والعمل على تخريج كوادر للدولة (إيجاد النخبة)

الداعية الإيجابي صاحب مشروع ورؤية واضحة، يقتنع بها، ويتفاعل معها، ويضحي من أجلها. فيحدثنا القرآن الكريم عن تلك الإيجابية الفعالة، التي قامت بها نملة مفردة، فأنقذت بني قومها، قال تعالى: {قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }(سورة النمل:آية ١٨). ولهذا حري بأصحاب الدعوة أن يكونوا إيجابيين في نظرتهم ودعوتهم.

فطموحات الشيخ حسن العطار نحو التقدم العلمي للإصلاح بمصر لم تكن تنبؤات، وإنما كانت توجيهات وتنبيهات، وفرق كبير بين التنبؤ والتنبيه. فالتنبيه يدل على الإيجابية من صاحبه، ولم يقصر العطار أن يكون إيجابيا في دعوته، فحين عجز عن تدريس كتب العلم الحديث في الأزهر، كان يختص بها نفرا من تلاميذه الأثيرين إلى نفسه، وتفرغ هو ليقرأ لهم كتب التاريخ والجغرافيا والأدب والطبيعيات وغيرها من الكتب التي كانت محظورة في الأزهر[٢]. وسرعان ما تحولت لمدرسة أشمل، احتضنت كثيراً من التخصصات، منها العلوم الطبيعية والسياسة والتاريخ. . . إلخ، بما يمكن تصنيفها على اعتبارها جامعة بالمفهوم الحديث، فصارت صرحاً فكرياً وإدارياً كبيراً له إسهاماته في بناء الدولة، وتخريج رجال الدولة.

(١) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ٥٠٦/٢، مرجع سابق

(٢) موسوعة أعلام المجددين في الإسلام، سامح كريم، ٣٢/٣، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م

ثالثا: الإصلاح والتجديد في الميدان السياسي

١ – في عهد الحملة الفرنسية

كانت علاقة العطار بالحملة الفرنسية موقف كل مسلم، حيث يراها احتلالًا يجب إزالته، وأن أهلها يقصدون إضعاف الأمة ونشر مفاسدهم بين المسلمين مع نهب خيرات البلاد [١].

فهو يعلم بأنهم أعداء يمتلكون قوّة يجب علينا تحصيلها لإعادة قوة أمتنا والوقوف أمام هذا العدو الغاشم. والفكرة الشائعة بين من درسوا الرجل وأعماله، أنه كان مسالما، يلتزم أسلوب العلماء في الآراء التي يبشر بها. . . ولكن الذي يراجع آراء معاصري العطار من الشيوخ، يجد أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه رجل محمد على وصنيعه. والواقع أن هذه النظرة إلى نشاط العطار السياسي لها ما يبررها من ظاهر موقف الرجل ورأي معاصريه فيه، ولكنها بعد نظرة من الخارج، أو هي نظرة على السطح.

فلقد رحل العطار من القاهرة إلى أسيوط فرارا من وجه الفرنسيين أول دخول رجال الحملة الفرنسية القاهرة، وظل هناك حتى هدأت الأحوال واطمأنت النفوس، فعاد مع العائدين، وبدأت صلة العطار بالفرنسيين منذ ذلك التاريخ، وتوثقت هذه الصلة حتى أصبح يفهم عنهم ويتحمس لحضارتهم وعلمهم، ويبشر بضرورة الانتفاع بكل ذلك، ثم يسافر العطار إلى سوريا وتركيا ولا يعود إلا في عهد محمد على، والراجح أنه خرج

(١) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها – دراسة نقدية، حسن بن محمد حسن الأسمري، ٤٦٣/١، رسالة دكتوراه، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمَّد بن سعود، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م

مكرها بسبب العسف الفرنسي، أو احتجاجا على إساءة الفرنسيين معاملة المصريين، ويقال إنه ذكر ذلك في بعض رسائله الخاصة [١]. وقد عرف للشيخ حسن العطار موقفه من نابليون حيث انتزع القلادة التي قلده اياها والقى بها إلى الارض في حضرته ورفض أن يقبل تحية محتل لبلاده[٢] .

وقد ترجم الدستور الفرنسي وأعيد طبعه ثلاث مرات، وكان العطار يتابع الكتب المترجمة، فلا شك أنه قرأ هذا الدستور المترجم ووعاه. ولقد كان العطار بعد معنيا بتقدم البلاد حريصا عليه، وهو صاحب فكرة إرسال الطهطاوى في البعثة العالمية إلى فرنسا في عهد محمد على، كما كان صاحب فكرة تدوين الطهطاوي لكل ما يرى وما يعن له في أثناء رحلته. فليس من المغالاة في شيء أن نستنتج أن وقوف الطهطاوي عند نظام الحكم الفرنسي، ونقله من الدستور الفرنسي، وإطالته الوقوف عند ما أسماه جوانب العدل، فيه، إنما يرتد إلى إيحاء أستاذه العطار. ومن هنا يمكن أن نجمل موقف الرجل السياسي في عهد الحملة الفرنسية، في نشاط معاد استوجب نفيه، ثم تنبيهه إلى مزايا الديمقراطية الفرنسية، وحرصه على أن تنتفع بلاده بها انتفاعا رسم خطوطه العريضة لتلاميذه وعهد إليهم بموالاته[٣] .

٢- في عهد محمد علي

في عهد محمد على نجد إشارات متفرقة يمكن بجمعها وتعمقها أن نستدل على موقف العطار السياسي. وأولى هذه الإشارات، أن الرجل كان صديقا حميما للجبرتي، وأنه أسهم معه في تأليف كتابه" مظهر

(١) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص٣٥، مرجع سابق
(٢) تاريخ الغزو الفكري والتعريب، ص٣٧، مرجع سابق
(٣) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص٣٦-٣٧، مرجع سابق

التقديس»[١]. والمعروف عن الجبرتي أنه كان ينقم على محمد على افتياته على الكيان المصري والشخصية المصرية، وإن أعجب بنشاطه وحزمه. يقول في ذلك: «وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان فلو وفقه الله لشيء من العدالة على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان أعجوبة زمانه وفريد أوانه"[٢].

وليس ببعيد أن يكون هذا هو حقيقة موقف العطار نفسه من محمد على وحكمه، لاسيما أن الرجل كان شديد الغيرة على المصلحة العامة، شديد الحرص على تشخيص الواقع المحيط به وتغييره. . . ولكن الشيخ العطار كان كيسا اتعظ بما فعل محمد على بزعماء المصريين وعلمائهم المناوئين له، فلم يلجأ إلى أسلوب المجابهة المفتوحة "[٣].

المبحث الرابع: ثمرات الإصلاح والتجديد في دعوة الشيخ العطار

إن المتأمل فيما وضعه الشيخ حسن العطار من برامج وما استطاع تحقيقه من إنجازات ليؤكد بكل وضوح ما كان يتميز به الشيخ من حسن استقراء للواقع وتمام استشراف للمستقبل.

فالجزم بنجاح تجربة أو فشلها لا يستقيم إلا بعد تبين مدى تجاوب الجماهير معها، وموقف السلطات القائمة منها. والمتتبع لهذه المحاولة الإصلاحية التجديدية يلاحظ أنها ولئن لم تفلح في تحقيق كل ما أريد منها، فإنها قد نجحت في إحداث مناخ فكري غلبت عليه نزعة نقدية. فلقد ترك الشيخ حسن العطار أثرا فيمن جاء بعده، وذلك من خلال تأسيسه لرؤية جديدة، وذلك من خلال وضعه اللبنات الأولى في طريق الإصلاح

(١) المصدر نفسه، ص٣٧

(٢) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ٤٠١/٤، مرجع سابق

(٣) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص٣٧

والتجديد الإسلامي في تلك الفترة، مما أدى إلى مواصلة العلماء والمفكرين الذين أتوا بعده في هذا الطريق، ومواصلة ما دعا إليه من آراء إصلاحية تجديدية.

وفي هذا يحدثنا الأستاذ عباس العقاد عن أثر دعوة الشيخ العطار فيقول: " نفث الشيخ نفثته في مطلع القرن التاسع عشر والمدارس الحديثية تتوالى عاما إثر عام، بين مدرسة للهندسة ومدرسة للطب ومدرسة للألسن ومدرسة للعلوم الطبيعية، ويتوالى معها بناء المعامل لصناعات السلم والحرب، ويختار لها الطلاب والمحترفون من أبناء الأزهر الناشئين، كما تختار منهم البعوث إلى البلاد الأوروبية فيقضون فيها الأعوام المعدودة ويعودون إلى مناصب الرئاسة أو مناصب الأستاذية، ويصعدون من تلك المناصب إلى أرفع مراتب الدولة، وتتهيأ لهم وسائل التنفيذ التي لم تكن مهيأة لشيخهم في منصبه، فلم يمض جيل واحد حتى كان في القاهرة من تلاميذ العلوم الحديثة حزب كبير يفهم ما ينبغي عمله للمضي بالنهضة العلمية في سبيلها، ويملك من الرأي والمشورة المسموعة ما يعينه على خصومها. . ويتفق أن يكون أكبر دعاة هذه النهضة تلميذا للشيخ العطار اختاره للسفر إلى الغرب، ونصح له قبل سفره أن ينبه على ما يقع في هذه السفرة وعلى ما يراه وما يصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة"[(١)].

"وكان مثلا للعالم المثقف بثقافة عصره. . . فكان رجلا من رجال الفطنة والكياسة. ولم يكن على غرار ذوي البأس الصارم والعزيمة الغلابة من أولئك المصلحين النوادر، الذين يناط بهم افتتاح العهود وهدم العوائق

(١) عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده، عباس العقاد، ص٤٠ –٤١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة

الراسخة في سبيل الإصلاح، ولا سيما الإصلاح الذي يعارضه أعداؤه باسم الدين، ويعتصمون منه بالحصون المنيعة من العادات المتأصلة والمصالح المتأشبة، وصغائر الغرور والادعاء ووجاهة المظاهر والألقاب"(١).

ولذلك الذين ينسبون كثيرا من الفضل إلى محمد علي بما استحدثه من نظام البعثات العلمية إلى أوروبا على غير مثال سبق في الحكومات الشرقية، ويزعمون له العبقرية في هذا الصنيع، ينسون فضل الشيخ العطار في توجيهه محمد علي إلى هذا السبيل. فقد كان مقربا منه، وكان الوالي يثق فيه، ويطمئن إليه، ولا شك أنه سمع منه كثيرا ترديده لنغمة تجديد المعارف وتغيير أحوال البلاد، وقوة المعرفة الفرنسية وغزارتها، فالتقط محمد علي بذكائه هذه الفكرة وحورها بأن جعل الطلاب المصريين ينتقلون بجملتهم إلى ديار العلم بأوروبا – وخاصة فرنسا– ليرتشفوا العلم من مناهله(٢).

" فالمدارس العالية الفنية التي أنشئت بمصر في ذلك العهد – كالهندسة والطب والصيدلة والألسن– هي الاستجابة الحقيقية لدعوة حسن العطار وتطلعاته ومناداته بحتمية تغيير الأحوال في البلاد. والكتب التي ترجمت بالمئات في عصر محمد علي هي الصدى المحقق لأمنية العطار حين رأى كتب الفرنسيين في الرياضة والعلوم والآداب. وإذا كان رفاعة الطهطاوي صاحب فضل كبير ويد طولى في حركة ترجمة الكتب في عصر محمد علي فإنه بلا شك قد تأثر في هذا بآراء شيخه العطار"(٣).

(١) المصدر نفسه، ص٤٠، مرجع سابق
(٢) حسن العطار، محمد عبد الغني، ص٧٦، مرجع سابق
(٣) المصدر نفسه، ص٧٥

وأعضاء البعثات العلمية كانوا خير سفراء لوطنهم في بلاد الغرب، وأنه تأسس على أيديهم وعقب عودتهم مرة أخرى إلى المحروسة جيش وطني قوى استطاع أن يمد نفوذ مصر إلى أعالي النيل بالسودان، وإلى فأسودة الواقعة على بحيرة فكتوريا، ونجح محمد على باشا بواسطة هذا الجيش الوطني أن يبسط سلطان مصر على الجزيرة العربية كلها. . . كما أحدثت أفكار الإمام الراحل ثورة علمية في شتى ربوع مصر، وكانت سبباً رئيسياً في إنشاء مدرسة الطب، والتي تخرج فيها أطباء على قدر رفيع من العلم والمعرفة، وقس على ذلك مدارس الصيدلة والهندسة والفلك التي أنشئت أيضاً في ذلك الوقت، وجميعها تحول فيما بعد إلى كليات مستقلة"[١].

ويصفه الشيخ عبد الرزاق البيطار فيقول: " هو فرد المعارف والعوارف، وكعبة حرم اللطائف لكل طائف، به جمال محيا العلم قد ازدهى، وإليه كمال الفهم قد انتهى، فلله دره من همام قد ارتقى سماء الفضائل، وانتقى لنفسه أحسن الخصال والشمائل. ولقد انفرد في علم الأدب وأجاد فيما نظم ونثر، وأحاطت به الفنون إحاطة الهالة بالقمر"[٢].ويتحدث عنه المؤرخ الرافعي فيقول: "وكان الشيخ حسن العطار من علماء مصر الأعلام، وامتاز بالتضلع في الأدب وفنونه والتقدم في العلوم العصرية، وكان هذا نادرا بين علماء الأزهر"[٣].

(١) علماء الأزهر والمثقفون يتحدثون عن الشيخ "العطار، مرجع سابق

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عش، ص٤٨٩، مرجع سابق

(٣) عصر محمد علي، عبد الرحمن الرافعي، ص٤٢٩، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٤٠٩هجرية/١٩٨٩م

وفي موجز دائرة المعارف الإسلامية: " وارتحل إلى الشَّام وأوروبا، واتسعت دائرة معارفه حتى شملت "المنقول والمعقول" فضلًا عن إلمامه بالتركية والفرنسية حتى عد نموذجا للعالم الأزهرى المتنوع الثقافات. يعد بحق رائدا من رواد النهضة"(١).

ويشيد الشيخ عبد المتعال الصعيدي بموقف العطار فيقول: "أدرك الشيخ حسن العطار الخطر الذي كان يحيق بالأزهر من تقاعسه عن القيام بالإصلاح، فخطا بذلك خطوة أكثر من ذلك الوالي الذي كان أول من شعر بنقص التعليم في الأزهر، ولكنه لم يدرك الخطر الذي يتعرض له الأزهر من إهمال ذلك النقص. . . وقد تهيأت له عوامل كان لها أثرها في حياته، ولم تتهيأ لغيره من أهل الأزهر، لأنه أخذ نفسه السياحة في الأقطار الإسلامية من الشام وغيرها، فلقى كثيرا من العلماء في تلك السياحة، ونقب فيها عن كثير من كتب المتقدمين التي أهملها علماء عصره، فاستفاد كثيرا من سياحته، وارتفع بها عن أهل الأزهر بعد أن عاد إليهم. فلما دخل الفرنسيون مصر لم يقصر في الاتصال بعلمائهم، ولم يقعد عن البحث في سر نهضتهم وقوتهم، فعرف من سر نهضتهم مالم يعرفوه، واطلع على بعض علومهم، وشاهد بعض ابتكاراتهم العلمية والصناعية. ولما تولى محمد على باشا مصر اتصل به، وتأثر بما كان يبذله من تلك الجهود الجبارة في النهوض بمصر في العلم والصناعة والزراعة والتجارة(٢).

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٦٧٨/٣، مرجع سابق

(٢) تاريخ الإصلاح في الأزهر، ص١٨-١٩، مرجع سابق

الخاتمة

وأخيرا فإن المسلمين اليوم في أشد الحاجة إلى الإصلاح والتجديد في شتى المناحي، وهي الحاجة التي وعيها الشيخ العطار منذ ما يقرب من قرنين من الزمان، فدعا إلى الإصلاح والتجديد، ولم يرى مخالفة للشرع في الانفتاح على التراث الإنساني العام من الفنون والعلوم، مع المحافظة في الوقت ذاته على الخصوصية الثقافية للأمة الإسلامية.

وقد سلك الشيخ مسالك شتى في سعيه الدؤوب لتحقيق أهدافه الإصلاحية والتجديدية التي كانت واضحة في ذهنه تماما، فكان لا يألو جهدا ولا يدخر وسعا في الإفادة من الوسائل المتيسرة.

ومن الوسائل التي استخدمها العطار:

١- الصحافة: من المعلوم أن الصحافة تقوم بدور كبير في توجيه الرأي العام وخدمة الثقافة والمثقفين، فقد عمل العطار على مساعدة محمد على في انشاء جريدة الوقائع المصرية وهى أول صحيفة عربية عامة ١٨٢٨م، وقد تولى تحريرها جماعة من نخبة الأدباء والكتاب من تلاميذ العطار وكان هو على رأسهم.

٢- التدريس وبث الأفكار الإصلاحية والتجديدية من خلاله: فالعطار جعل من بيته جامعة، يلتقي فيه بطلاب العلم، ويلقي عليهم دروسا في شتى المجالات، وبأسلوب عصري، وقد كانت هذه الدروس وسيلة من أهم الوسائل التي استخدمها في نشر أفكاره.

٣- رحلاته: رحل الشيخ العطار إلى الخارج، وأجاد عدة لغات منها التركية والفرنسية والألبانية، وزار كثيرا من أوطان العرب وكان في كل بلد يلقي محاضراته، ويقبل عليه العلماء، "فذهب إلى الشام وفلسطين وتركيا، ولم يزل مشتغلا بالإفادة والاستفادة حتى عاد إلى مصر بعلوم كثيرة، فكانت الفترة التي درس فيها العطار في كل من تركيا وسوريا تمثل فترة استعداد للمهام التي تحمل مسؤوليتها بعد عودته إلى مصر عام ١٨١٥م.

النتائج

١- بينت الدراسة أن للأزهر دوراً محوريا في نشر العلوم الشرعية والعربية والإنسانية.

٢- بينت الدراسة أن الفتاوى التي أصدرها الشيخ العطار كانت مشعل نور أضاء لأبناء مصر طريق النبوغ والتفوق في مختلف المجالات العلمية.

٣- الرد على كل المزاعم والافتراءات التي يدعى أصحابها أن علماء الأزهر الشريف منغلقون على الماضي ولا تربطهم أي صلة بمجالات العلم الحديث.

٤- بينت الدراسة أن الاجتهاد في العلوم الدينية «ضرورة»، من أجل إيجاد فقه معاصر يتواكب مع احتياجات الناس ومتطلباتهم في العصر الذي يعيشون فيه.

٥- بينت الدراسة أن الشيخ العطار استطاع أن يترك أثره البالغ في تلاميذه الذين واصلوا منهجه في الدعوة إلى الإصلاح والتجديد.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أحمد فارس الشدياق فراءة في صفائح المقاومة، دكتور عصمت نصار، دار الهداية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢- الأزهر أثر وثقافة، سعاد ماهر، دراسات في الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، عدد ٢٢، ١٥جمادي الأولى ١٣٨٢هجرية/١٤أكتوبر ١٩٦٢م

٣- الأزهر باعثا لشرارة النهضة الموسوعية العربية، دكتور محمد الجوادي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ٢٠١٦م

٤- الأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف وشئون الأزهر، باب التربية والتعليم بالأزهر، الدكتور أحمد شلبي، والدكتور أحمد الحوفي، مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٨٣-١٩٦٤م.

٥- الأزهر في ١٢ عام، إعداد لجنة مشكلة برئاسة الدكتور محمد عبد الله ماضي وكيل الأزهر، الدار القومية للطباعة والنشر، دون تاريخ.

٦- الأزهر في ألف عام، محمد عبد المنعم خفاجي، عالم الكتب بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ط٢ سنة١٤٠٨ هـ

٧- الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، محمد كامل الفقي، المطبعة المنيرية بالأزهر

٨- الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا، دكتور شوقي عطا الله الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

٩- أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، أحمد تيمور باشا، دار الأفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٣هجرية/٢٠٠٣م

١٠- إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي (المتوفى: ١٣٧٠هـ) المحقق: محمد كمال، دار القلم العربي حلب، ط٢ سنة١٤٠٨

١١- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ.الناشر: دار العلم للملايين، ط١٥ – أيار / مايو ٢٠٠٢ م
١٢- أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع، خليل مردوم بك، لجنة التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧١م
١٣- أمالي ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: الدكتور محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.
١٤- الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، دكتور محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٨هجرية ١٩٨٨م
١٥- البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة، دكتور عبد الله علي سمك، ط١، ١٩٩٤ م
١٦- تاريخ الإصلاح في الأزهر وصفحات من الجهاد في الإصلاح، عبد المتعال الصعيدي، مطبعة الاعتماد، مصر، ط١
١٧- تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠/ ١٩٤٠، المؤلف: أحمد أنور سيد أحمد الجندي (المتوفى: ١٤٢٢ هـ)، دار الاعتصام
١٨- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ (المتوفى: ١٢٣٧هـ)، دار الجيل، بيروت.
١٩- تجديد الخطاب الحضاري في مصر ومشروع النهضة، دكتورة عصمت حسين سيد نصار، حولية كلية الآداب، بني سويف، مجلد ١، ٢٠١٢م
٢٠- تَكملَة مُعجم المُؤلفين، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٢١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه، للإمام البخاري. وهو الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٢- الجذور الإسلامية للرأسمالية ، بيتر جران، ترجمة محروس سليمان، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، دون تاريخ
٢٣- حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن العطار، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.
٢٤- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
٢٥- الحاشية الكبرى على مقولات البليدي وحاشيتاه الكبرى والصغرى على شرح مقولات السجاعي، حسن بن محمد الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
٢٦- الحداثة والإمبريالية الغزو الفرنسي واشكالية نهضة مصر، دكتور أحمد زكريا الشلق، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هجرية/٢٠٠٦م
٢٧- حسن العطار، محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
٢٨- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ)، حققه ونسقه: محمد بهجة البيطار – من أعضاء مجمع اللغة العربية، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣
٢٩- حلية الزمن بمناقب خادم الوطن سيرة رفاعة رافع الطهطاوي، السيد صالح مجدي، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٨م
٣٠- الخطط الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، علي باشا مبارك، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، ط١، ١٣٠٥هجرية.

٣١- الشيخ حسن العطار رائد البعث الأدبي في مصر الحديثة، سالم بدراوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، س٩، عدد٩٩، مارس ١٩٦٥م.
٣٢- شيوخ الأزهر، أشرف فوزي صالح، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.
٣٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
٣٤- عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده، عباس العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة .
٣٥- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م
٣٦- عصر محمد علي، عبد الرحمن الرافعي، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٤٠٩هجرية/١٩٨٩م.
٣٧- العطار صاحب رؤية تقدمية في علاج مشكلات وهموم الأمة الإسلامية للحاق بركب الحضارة، خالد أبو الروس، جريدة النهار الكويتية، العدد ٢٧٩١ – ٢٠١٦/٠٦/١٣.
٣٨- علماء الأزهر والمثقفون يتحدثون عن الشيخ "العطار، محمد أبو العيون، بوابة الأزهر الشريف، تاريخ ٩سبتمبر ٢٠١٧.
٣٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
٤٠- الفكر المصري في القرن الثامن عشر بين الجمود والتجديد، دكتور عبد الله العزباوي، دار الشروق، القاهرة، سلسلة التاريخ الجانب الآخر إعادة قراءة للتاريخ المصري.

٤١- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المؤلف: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط ٢، ١٩٨٢
٤٢- في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، الناشر: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م
٤٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦م.
٤٤- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هجرية،
٤٥- محاضرات عن الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث، جمال الدين الشيال، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، دون تاريخ.
٤٦- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، عبد اللطيف الطيباوي، ترجمة وتقديم د/قاسم السمراني، طبع إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١١هجرية/١٩٩١م.
٤٧- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م
٤٨- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي بيروت
٤٩- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، دون تاريخ.
٥٠- معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م
٥١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٢- مفهوم تجديد الدّين، سعيد بسطامي محمد، دار الدّعوة، الكويت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٥٣- مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية، رفاعة رافع الطهطاوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دون تاريخ.
٥٤- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، مصر، ١٩٦٣ م
٥٥- موجز دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، المراجعة والإشراف العلمي: أ. د. حسن حبشي، أ.د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أ. د. محمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
٥٦- موسوعة أعلام المجددين في الإسلام، سامح كريم، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٥٧- نظرة المستشرقين للإصلاح والتجديد في الإسلام: دراسة نقدية، محجوب أحمد طه، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، مركز بحوث القرآن الكريم والسنة النبوية، س١١، عدد ١٦، ٢٠٠٨.
٥٨- النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها –دراسة نقدية، حسن بن محمد حسن الأسمري، رسالة دكتوراه، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
٥٩- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، دار الذخائر، القاهرة، ط١- ١٤١٩ هـ.